EDGAR WALLACE

THE THIEF IN THE NIGHT

رواية

إدجار والاس

لص الليل



ترجمة : رانيا صلاح

نُشِرَت للمرة الأولى عام 1928

الفصل الأول

"واسأل زوجتك أيضًا أين كانت يوم السبت الموافق الثالث والعشرين من الشهر، فبينما كان من المفترض أن تكون موجودة في البلدة، يمكنني أن أخبرك أنها كانت تتناول العشاء في لقاء خاص مع ضابط شاب من ضباط الحراسات في مسكنه".

المخلص لكم

فاعل خير

وضع اللورد "ويديكومب" ذلك الخطاب جانبًا محتقرًا إياه بابتسامة باردة، وأوشك أن يمزقه لجزء من الثانية وأن يحرق ذلك السم المكتوب بداخله بإلقائه في نيران المدفأة، لكنه تراجع عما

جال بخاطره، أعاد التفكير بشكل أفضل، وقرع الجرس استدعاءً لخادمه، وقال له: "فرانك.. هلا طلبت من سيادتها أن تتكرم وتأتي إليّ؟".

وفي غضون بضع دقائق، جاءت السيدة "ويديكومب"، امرأة جميلة ونحيلة، تسير في تواضع، كانت تصغر زوجها بعشرين عامًا، ومع ذلك فقد كانا أكثر الأزواج سعادة على وجه الأرض.

- "عزيزتي.."

قالها اللورد ببريق في عينيه الرماديتين، ثم مرر إليها الخطاب وأخذ يراقب تعبير الغضب الذي راح يعتلي وجهها أثناء قراءته واستكمل: "يريد أحدهم أن يهدم بيت زيجتنا السعيد".

فأردفت "السيدة ويديكومب": "يا له من

شخص حقير! اليوم الثالث والعشرون! كنت.. كنت أتناول العشاء مع "روني" ابن زوجي؛ هذا هو ضابط الحرس صغير السن الذي يقصده".

ضحك اللورد "ويديكومب" وربت على وجنتيها، ثم قال بنبرة حانية: "أنتِ امرأة مخادعة، ولقد كشفت أمركِ، لكن ما يشغلني حاليًا من الذي أرسل شيئًا كهذا بحق الجحيم؟".

أومأت "السيدة ويديكومب" وقالت في حنق: "إنه شخص شرير، مقيت، لكنه لن يستطيع أن يفتعل مشكلة بيننا دون أدنى شك، فكر فيما يعنيه أن يصل هذا النوع من الخطابات إلى منزل يشغل بال الجميع بالفعل! وبالمناسبة، إن مرسلها لا يمكن أن يكون هو نفسه لص المجوهرات الذي علمنا بوجوده في الفترة الأخيرة، فهو منشغل بشيء آخر على ما يبدو، إذ إن السيدة "كرو

ساندرز" قد فقدت بروشًا ثمينًا مرصعًا بالألماس هي الأخرى".

رفع اللورد "ويديكومب" حاجبيه ثم قال: "بروش آخر! إنه البروش الرابع الذي يتم سرقته هذا الشهر، أنا معجب بثبات هذا السارق على موقفه! فإنه يبدو رجلًا نبيلًا ومثقفًا يدرك غايته جيدًا على عكس من يدعو نفسه "فاعل خير" مرسل الخطابات، لا تخبري "ديانا" عن الأمر سيصيبها الخوف والقلق".

صمتت الزوجة لبرهة من الوقت، وأخذت تحدق عبر النوافذ الفرنسية الطويلة المطلة على الحديقة التي غمرتها الأمطار، فيما كان من الواضح أن ذلك المشهد الكئيب لم يكن سبب استغراقها في التفكير.

إذ قالت في نبرة حائرة: "أتساءل لماذا تكن

"ديانا" هذا الكره ناحية "باربرا ماي"؟".

فابتسم لها ابتسامة عريضة وقال: "إنه لمن دواعي سروري أن أرى "ديانا" وهي تتخذ مواقف جدية صارمة حيال أي موضوع، حتى لو كان هذا الموضوع كرهها "لباربرا ماي" يمكنني أن أتغاضى عنه، ومع ذلك لا تخبريها بأمر الخطاب، سأقوم بإرساله إلى قسم شرطة "سكوتلاند يارد".. وعلى ذكر "سكوتلاند يارد" فقد طلبت من "جاك دانتون" أن يحضر للأسبوع الخاص بلعبة الكريكيت، إنه لأمر عجيب أن يعمل رجل مثله في الشرطة".

انتهى من حديثه بينما كانت السيدة "ويديكومب" تفكر في شيء آخر عند خروجها من غرفة المكتبة. وما إن خرجت حتى وجدت "ديانا وولد" جالسة في غرفة الاستقبال الصغيرة

المطلة على باحة الزهور الرطبة، التي لا تقارن مع الزهور الجميلة التي تنبت في فصل الصيف.

بدت ديانا آثرة ورقيقة في ثوبها الأبيض بينما كانت تحمل نسخة من كتاب للشعر يستند مفتوحًا على ركبتيها، رفعت عيناها ذات اللون الأزرق المائل إلى الأرجواني، وما إن رأت ابنة عمها "السيدة ويديكومب" تدلف إلى داخل الغرفة حتى وضعت الكتاب جانبًا.

كانت جميلة، ساحرة، تشبه في رقتها آنية خزفية قابلة للكسر، ارتسمت على وجهها ابتسامة سرعان ما خالطها القليل من الحزن، ثم نهضت وطبعت قبلة على وجنتي "السيدة ويديكومب"، فيما بدا عليها نوعًا من الخجل والتردد خشية قريبتها تلك، التي تبدو معتدة بنفسها دائمًا.

قامت "إيلسي ويديكومب" بتوجيه سؤالها إلى

"ديانا" بطريقة مباشرة بمجرد أن وقعت عيناها عليها، وهي واحدة من صفاتها التي تسبب الإرباك للآخرين: "لماذا تكرهين "باربرا ماي"؟".

فضحكت الفتاة كثيرًا، وقد بدت جميلة جدًا عندما فعلت ذلك. ثم قالت: "أنتِ غريبة جدًا يا إلسي، أنا أكره "باربرا"؟ لا.. على الإطلاق، أعتقد أنني لا أحبها فقط، إنها فتاة لطيفة، لكننا نختلف عن بعضنا البعض بطريقة أو بأخرى... كاللونين الأرجواني والوردي، إذ إنني أمثل الوردي في تلك المقارنة، فهي تكره الشعر وأنا أعشقه، تحب الصيد ولعب الجولف، وأنا أحب التنزه بالسيارة ولعب التنس، أنا كسولة للغاية أما هي فعلى عكس ذلك تمامًا نشيطة وقوية بشكل كبير، ولكن ما الفائدة وراء هذا الاستجواب؟ هل أبدى اللورد "ويديكومب" اهتمامًا بها؟".

جلست السيدة "ويديكومب" على أريكة كبيرة أمامها، وأجابتها: "إنني أتساءل فحسب، فقد رأيتك تتسلمين خطابًا من السيدة "كرو-ساندروز" هذا الصباح. وأنا كذلك، فقد وصلني خطاب منها.. هل أخبرتك أن ..؟".

فأومأت "ديانا" ولمعت عيناها اللتان لا بأس بهما على الإطلاق: "الآن علمت لما جئت على ذكر "باربرا"، فقد كانت تقيم لدى آل "كرو-ساندروز" وقت السرقة".

احتجت السيدة "ويديكومب" قليلاً...

لكن "ديانا" تابعت حديثها في إصرار "مكثت باربرا معهم، كما أنها مكثت عند عائلة كولبروكس عندما فقدت السيدة كارترز البروش الخاص بها، وكانت أيضًا من ضمن المدعوين في منزل عائلة الفارهولمز وقتما فقدت السيدة فارهولمز

البروش".

" كفى يا ديانا"

"أعرف أعرف ما تودين قوله.. لكنها الحقيقة، أليس كذلك؟"

اختفت الابتسامة من على وجه ديانا وأكملت حديثها ببطء.

"كما أن الحقيقة أيضًا أن كل هذه الخطابات القاسية مجهولة الهوية والموقَّعة باسم "فاعل خير" موجهة إلى أشخاص على صلة بباربرا؟".

نهضت السيدة "ويديكومب"من مجلسها فجأة

"لم أتوقع قط يا ديانا أنكِ تفكرين بهذا الشكل، ومع ذلك.. فهم أصدقاؤنا أيضًا، وأنتِ لا تملكين

فكرة عما تقولين، فإنك لا تقصدين أن باربرا ليست سارقة فحسب، بل إنها أيضًا..".

أومأت "ديانا" في حزن: " أعلم أن ما أقوله بغيض وغير مقبول، لكننا محكومون بالمنطق الذي يقودنا بدوره إلى الحقائق".

تذمرت السيدة "ويديكومب" ثم قالت: "حقائق.. غير معقول.. تتعمدين تشويه سيرة فتاة بريئة، تأكدت الآن أنك تكرهينها بشدة".

هزت "ديانا" رأسها ذا الشعر الذهبي ولمعت عيناها مرة أخرى وهي تخاطب قريبتها: "أنا لا أكرهها حقًا، ولا أفعل أي شيء يدل على كرهي لها، أنا فقط أمارس عادتي وأتبع صفاتي الراغبة في التحري عن الحقائق".

ثم نهضت من مجلسها ولفت يدها حول خصر

ابنة عمها وقبلتها وهي تقول لها: "سامحيني يا إلسي، أنا مخطئة لكن باربرا فقط تُصيبني بالملل".

أخذت السيدة "ويديكومب" وقتًا كثيرًا حتى تهدأ، وعلى الرغم من اتهامات "ديانا" المجحفة، فإنها صُدِمت من كم الصدف اللافتة للنظر التي جاءت على ذكرها.

الفصل الثاني

كان المفتش المساعد "جاك دانتون" يحول وجهته كي ينضم إلى قسم شرطة "سكوتلاند يارد"، وذلك بناء على أمر استدعائه إلى مكتب كبير المفوضين بعد طلب من رئيسه في العمل كي يحضر من "باريس" على وجه السرعة.

وأثناء طريقه من "دوفر"، قرأ كل تقارير الشرطة التي تسرد المغامرة الاخيرة للص المجوهرات الغامض، الذي يبدو أن الشرطة المحلية لم تستطع التصدي لممارساته على الإطلاق.

ظن "جاك" أن تلك هي المهمة العاجلة التي تم استدعاؤه من أجلها، وقد شعر بالسعادة العارمة لتلقيه هذا العمل؛ إذ ينضم الآن إلى شرطة

"سكوتلاند يارد" بعد التدرج الوظيفي في رتب الجيش، وعلى الرغم من أنه بالفعل استطاع حل لغز قضية لصوص المستودع من قبل، فإن القضية الكبيرة الحقيقية بالنسبة له لم تأتِ بعد، وها هي قد أتت الآن.

كانت قصة السرقة الأخيرة لمجوهرات السيدة "كرو ساندرز" نسخة طبق الأصل من السرقات التي حدثت سابقًا. حيث كانت السيدة "كروساندرز" تقيم حفل راقص في منزلها، وفي المساء وقبل مغادرة غالبية المدعوين إلى الحفل، تم اكتشاف سرقة مجوهرات السيدة "كروساندرز"؛ سرقة بروش ثمين من الألماس يحمل في منتصفه ثلاث زمردات على شكل مثلث،

وفي طريق "جاك" إلى مكتب كبير المفوضين،

توقع أن يستمع إلى تفاصيل هذه القصة مرارًا وتكرارًا؛ حيث إنها الجريمة التي نفذت مؤخرًا في هذا المكان.

استقبله كبير المفوضين: "تفضل بالجلوس يا دانتون، أريدك بشدة".

فابتسم له "جاك" قائلًا: "أعتقد أنني أعرف السبب يا سيدي، يبدو أن القضية الأخيرة الخاصة بسرقة المجوهرات قضية معقدة للغاية".

فبدت أمارات التعجب على وجه مفتش الشرطة وسأله: "ما هذا الذي تتحدث عنه؟".

فبادله "جاك" التعجب والحيرة وقال: "أنا أعني سرقة مجوهرات عائلة الكرو ساندرز في شروبشاير".

هز المفوض كتفيه بعدما أدرك ما يشير إليه "جاك" ثم قال "الآن فهمت..لا، أنا لا أبحث عن ذلك اللص، أنا أريد ذلك الذي يدعو نفسه "فاعل خير" وعلى أية حال لم تطلب منا الشرطة المحلية أية مساعدة بخصوص اللص".

ضحك "جاك" ثم قال: "أنا في حيرة شديدة من أمري يا سيدي.. فأنا لا أعرف حتى من فاعل خير الذي تتحدث عنه"!

وهنا قام المفوض بفحص وتمحيص بعض الأوراق الموضوعة أمامه على المكتب، ثم أردف ببطء: "فاعل خير" هو كاتب خطابات مجهول الهوية يتوجه بكلماته تلك إلى مجموعة من أفراد لهم مكانة مهمة في المجتمع، كما أدت أفعاله المشينة إلى نتائج كارثية، إذ إن كاتب أو كاتبة الخطابات يعرف عدة أسرار مروعة يخفيها بعض

من هؤلاء الأفراد، وافترض أنهم كانوا على يقين تام أن هذه الأسرار لن يتم اكتشافها أبدًا في رأيي، لكنني أعتقد أن كاتبة هذه الخطابات امرأة متخفية، فالخطابات مكتوبة بخط يد يبدو أنثويًا بكل تأكيد، إليك أحد هذه الخطابات".

مرر الخطاب عبر الطاولة إلى "جاك"، الذي شرع في قراءة الخطاب بدوره وانتابه شعور الاشمئزاز الشديد مما قرأه ثم تابع حديثه: "إن كلامه مثل السم تمامًا.. من الذي أرسِل إليه هذا الخطاب؟".

فأجابه: "لقد أُرسِل إلى اللورد "ويديكومب"، وكما ترى؛ إنه يحاول إثارة الشكوك والشائعات حول زوجته السيدة "ويديكومب" والعلاقة التي تجمعها مع شاب طائش، لكن لحسن الحظ أن اللورد "ويديكومب" رجل متوازن وذكي يثق في زوجته ثقة عمياء.. هو من استلم الخطاب وأرسله

لنا، ولذلك أريدك أن تذهب إلى شروبشاير، وستتمكن من الدخول إلى أفضل المنازل هناك. تستطيع أن تفعل ذلك بدون مساعدتي، أليس كذلك؟".

"بكل تأكيد يا سيدي.. في الواقع عائلة "ويديكومب" أصدقاء قدامى بالنسبة لي وقاموا بدعوتي إلى منزلهم بالفعل".

شعر "جاك" ببعض خيبة الأمل تجاه المهمة التي ظن أنها ستكون من أكثر المهمات إثارة، وعلى الرغم من ذلك فقد كان يتوق إلى الذهاب إلى "شروبشاير"؛ المكان المقرب إلى قلبه.

وبناء عليه فقد قام بجمع كل المعلومات المتاحة الخاصة بالقضية وأخذها معه إلى مكتبه، وقضى الصباح بأكمله في مقارنة خط اليد في جميع الخطابات التي أعطاها له رئيسه، ثم تركها جانبًا

وأخذ يفكر لبعض الوقت: "شروبشايرا.. إن "باربرا ماي" تعيش في شروبشاير".

وبمجرد التفكير في "باربرا ماي" نهض سريعًا بعدما ألقى نظرة خاطفة على الساعة، أدرك أن هنالك فرصة كي يراها وهي تمتطي الخيل وسط صفوف الفرسان هذا الصباح، وأنه قد ذهب من قبل عشرات المرات آملاً في رؤيتها. لكن ظنه كان يخيب في كل مرة. وعلى الرغم من أنه كان يعلم أنه من الممكن أن يخيب اليوم أيضًا، فإنه فضل أن يغتنم الفرصة في كل الأحوال.

استقل "جاك" سيارة أجرة إلى "هايد بارك كورنر"، تجول وسط الزحام وأخذ يجول بنظره بحثًا عن كل من يمتطي الخيول في المكان، حتى قفز قلبه فجأة من السعادة، إذ إن الفتاة التي يبحث عنها كانت تقف إلى جانب السور وتتبادل

أطراف الحديث مع رجل يبدو عضوًا في البرلمان بينما تمتطي حصانًا أسود، وتبدو "باربرا" في هيئتها؛ امراءة جميلة وقوية.

وعندما وقعت عيناها عليه قالت باربرا بعدما ألقت عليه التحية: "السيد دانتون؟ اعتقدت أنك في باريس؟".

فأجاب جاك: "لقد كنت كذلك حتى البارحة. لكن، طلب مني بعض الناس أن أعود مرة أخرى".

التقى جاك "بباربارا ماي" للمرة الأولى في منزل السيدة "ويديكومب"، وقد أجرى معها الكثير من المحادثات من قبل، ومع ذلك فلم يسبق له أن أخبرها عن طبيعة عمله، كما أنها لم تعره الكثير من الاهتمام لمعرفة ذلك.

فيما كان جل ما يعرفه عنها أنها ابنة مسؤول في

وزارة الخارجية، وعملت داخل القصور الفخمة أثناء الحرب. كانت فقيرة جدًا وأرادت السيدة "ويديكومب" أن تجد لها زوجًا مناسبًا. فيما كان يشعر "جاك" تجاهها بشعور مختلف، فقد كان ينتظر مقابلتها بفارغ الصبر في كل مرة أكثر من سابقتها.

قالت باربرا: "وعدتني أن تأتي لتركب الخيل معي ذات يوم، لكنك فقدت فرصتك الآن يا سيد دانتون؛ لأنني سأغادر البلدة غدًا".

ارتسمت على وجه "جاك دانتون" ملامح الحزن، فضحكت "باربرا" ثم أضافت: "أنا ذاهبة إلى شروبشير، إلى منزل عائلة "ويديكومب".. هل ستذهب إلى هناك؟".

فتنفس جاك الصعداء عندما شعر أنها المرة الأولى التي يلتقي فيها الواجب والمتعة في آن

واحد.

ثم قال: "نعم سأذهب غدًا في المساء إلى منزل "ويديكومب"، فما زال لدينا رحلة طويلة بعد".

أومأت "باربرا" رأسها بالموافقة، ثم سألها جاك: "هل كنتِ تمكثين هنا كل هذه الفترة الماضية؟".

وهنا ترددت "باربرا" للحظة ثم أجابته: "كنت أمكث في قلعة "موربلي" مع السيدة كرو-ساندرز"، فأمعن "جاك" النظر ناحية "باربرا" لبعض الوقت ثم تابع حديثه وسألها: "تلك السيدة التي فقدت مجوهراتها؟".

احمر وجه الفتاة وبدت ملامح القلق واضحة على وجهها.

ثم قالت باختصار شديد: "نعم"، وأومأت برأسها

في عجالة ثم أدارت رأس الحصان ومضت في طريقها بعيدًا.

ظل "جاك" واقفًا يحدق نحوها في صمت، ولا يعلم ما الشيء الذي أثار غضبها هكذا إلى هذا الحد. فلم يلحظ من قبل أنها شديدة الحساسية لهذه الدرجة، كما أن آخر ما يريده في الدنيا أن يغضبها.

وعندما أدرك "جاك" أن الفتاة قد ذهبت إلى "قلعة موربلي" في وقت سرقة البروش، حزن حزنًا شديدًا من مناخ هذا العمل، فقد كان يرغب بشدة في سماع قصة السرقة من الفتاة نفسها.

ومن ثم عاد "دانتون" إلى "سكوتلاند يارد" وهو يشعر بعدم الارتياح. ولم يستطع إيجاد سبب واضح وراء هذا الشعور على الإطلاق، فعادةً ما يصيبه هذا الشعور لسبب ما.

وبينما كان مستغرقًا في عمله بعد الظهيرة رن جرس الهاتف وجاء صوت رئيسه كبير المفوضين يقول له: "عند وجودك في منزل "ويديكومبس" ابقِ عينيك مفتوحتين على سارق البروش، أظن أنه سوف يأتي من أجل زيارتك".

ثم سمع جاك صوت ضحكات كبير المفوضين وهو يغلق الهاتف دون أن يدري السبب الحقيقي وراء ذلك.

الفصل الثالث

عاد "جاك" إلى مسكنه بعد الظهيرة بعدما اتخذ قراره بالذهاب إلى "شروبشاير" في صباح اليوم التالي.

ذهب "جاك" لتناول العشاء بمفرده وسلك أطول طريقًا ممكنًا أثناء عودته إلى منزله، وذلك لحاجته الشديدة إلى ممارسة الرياضة قبل الخلود إلى النوم. كان يسير في طريق "بيكادللي" إلى جانب الحديقة في تلك الأثناء التي انشغل عقله كثيرًا بالتفكير في "باربرا ماي"، هذه الفتاة التي تملك تأثيرًا كبيرًا عليه، الأمر الذي يزعجه ويسعده في الوقت ذاته. شعر بالحيرة الشديدة بالتفكير في السر الذي يميزها حتى يهتم بها هكذا دون بقية النساء، على الرغم من أنه شخص

يصعب التأثير عليه.

وبينما كان "جاك" منشغلاً في أفكاره، مرت من جانبه سيارة ليموزين كبيرة ووقفت بجوار الرصيف عند" كونستيتيشن هيل"، فألقى نظرة خاطفة على السيارة ورأى شيئًا اضطره أن يعدل من مساره.

إذ تسنت له رؤية "باربرا ماي" داخل السيارة، كان على يقين تام من أنها هي "باربرا"، فقد كان يستطيع تمييزها بين ملايين من البشر. رآها تتحدث مع رجل بجدية تامة، لكنه لم يستطع رؤية الرجل. ومن الواضح أن "باربرا" لم تلاحظ وجود "جاك" في الجوار.

تسلل بداخله شعور غريب لمجرد التفكير أن "باربرا" ربما تكون في علاقة غرامية أو معجبة بشخص ما لهذه الدرجة التي تضطرها إلى لقائه

في السر، وما أثار مخاوفه أكثر أن السيارة التي كانت تركبها فخمة جدًا، ومن المتعارف عليه أن "باربرا ماي" فقيرة للغاية.

وقف "جاك" على بعد خمسين ياردة من السيارة، وكان يكره فكرة أن يتجسس عليها، لكنه رغب في معرفة من هو ذلك الرجل الذي أعطته "باربرا" مثل هذه الامتيازات.

وقف مكانه حتى قام الرجل بفتح باب السيارة وخرج منها. بدا رجلًا محترمًا وقورًا في منتصف العمر، ومن ثم وجّه حديثه إلى "باربرا" قائلًا: "جيد جدًا يا آنستي.. سأحرص على إبلاغك بالأمر في الصباح".. وعندما أنصت "جاك" إلى الرجل وهو يتحدث مع باربرا، افترض أن ما بينهما ليست علاقة غرامية.

تحركت السيارة سريعًا بينما ظل الرجل في

مكانه لدقيقة واحدة ثم استدار وسار بخفة في الاتجاه الذي يقف فيه "جاك"، وسار في محاذاة "كونستيتيوشن هيل" متبعًا سور قصر "باكينجهام".

قام "جاك" لا إراديًا بملاحقة الرجل دون أن يكون لديه أدنى فكرة عما يفعله. وأثناء ملاحقته إياه أصدر حذاؤه المطاطي صوت خفيض جدًا مما جعل الرجل يساوره الشك بأن هنالك من يلاحقه فألقى نظرة سريعة إلى الوراء، وواصل طريقه دون توقف.

كانا بالقرب من نصب "فيكتوريا التذكاري" عندما حدث شيء مفاجئ؛ إذ سقطت من الرجل حقيبة مجوهرات مربعة مصنوعة من الجلد وهو يُخرِج منديلا من جيبه، وأصدرت الحقيبة ضجة عند ارتطامها بالأرض وطار الغطاء من فوقها.

فقام جاك بالتقاطها سريعًا في يده، حتى التفت الرجل إلى "جاك" في تعجب ثم قال في حدة: "إنها ملكي".

هنا وقف "جاك" مذهولا يحدق به وبما رآه داخل الحقيبة؛ إنها قطعة كبيرة من الألماس وفي منتصف القطعة يظهر ثلاث زمردات! فأدرك أنها تتشابه تمامًا مع المجوهرات المفقودة الخاصة بالسيدة "كرو- ساندرز"!

حاول الرجل اختطافها من بين يدي "جاك" لكنه ابتعد عنه في سرعة بالغة فلم يتمكن الرجل من الحصول عليها.. لم يستطع "جاك" أن يصدق ما تراه عيناه، فهل يعقل أن تكون "باربرا ماي" هي السارقة التي تبيع المجوهرات إلى هذا الرجل؟!

قال الرجل في غضب: "هيا..أريد ممتلكاتي"

فرد عليه "جاك": "يجب عليك أولًا أن تفسر لي من أين جئت بها يا صديقي".

- "لن أشرح لك شيئًا، وإن لم تسلمني إياها سأضطر أن أستدعي الشرطة"

- "فلتستدعني إذًا"

فتعجب الرجل ثم قال: "لا أفهم"

- "أنا المفتش "جاك دانتون" من شرطة "سكوتلاند يارد"، وأعتقد أن هناك بعض الإجابات المطلوبة منك.. هلا أتيت معي إلى أقرب نقطة شرطة؟"

فكر الرجل قليلا ثم قال في تردد: "بكل تأكيد".

سارا معًا جنبًا إلى جنب في هدوء فيما أخذ "جاك" يفكر في هذا المأزق الذي وقع فيه؛ إذ إن القبض على هذا الرجل يعني حتمًا تورط "باربرا ماي"، وهو يدرك الآن مدى أهمية هذه الفتاة بالنسبة له، ومع ذلك يجب أن يؤدي واجبه على أكمل وجه، وأن يكمل المهمة مهما كانت العواقب.

وفي قسم شرطة "وستمينيستر" أطلق المتهم على نفسه اسم "جون سميث"، ومن ثم رفض إعطاء أية إفادات عن كيفية وصول المجوهرات إلى حيازته، وأصر على التزام الصمت بينما تحدث جاك ومفتش الشرطة عن تلك المسروقات التي تم استرجاعها.

قال مفتش الشرطة وهو يراجع قائمة بالمواصفات: "لا يوجد أدنى شك يا سيدي، هذه هي المجوهرات التي فقدتها السيدة "كرو-

ساندرز".. ستصدر مذكرة وتوجه فيها الاتهامات إليه كافة أليس كذلك؟".

شعر جاك بالأسف الشديد، ولم يجرؤ حتى على سؤال المتهم عن كيفية حصوله على المجوهرات، وأراد بعض الوقت ليفكر في الأمر جيدًا. حتى قال في أسف: "نعم.. سأذهب إلى كبير المفوضين في النادي.. احتجزه هنا حتى أعود واحتفظ بهذه القطعة في مكان آمن".

ذهب "جاك" في هدوء إلى "بال مول" وأخذ يفكر في حل لتبرئة "باربرا"، أصبح عقله مشوشًا تمامًا من كثرة التفكير، وكان يمشي بخطوات متثاقلة في اتجاه نادي "كارلتون" الجديد بينما فوجئ بكبير المفوضين ينتظره في مدخل النادي.

قال كبير المفوضين: "تعال إلى غرفة المدخنين يا جاك"

تعجب "جاك" من معرفة رئيسه بأمر الزيارة من الأساس، لكنه أطاع أوامره في صمت.

حتى جاءت كلمات كبير المفوضين الأولى تفسر الأمر بأكمله: "تلقيت رسالة هاتفية من شرطة ويستمينستر بشأن القبض على المدعو "سميث"، وبعد مغادرتك لقسم الشرطة وصل صديق الرجل الذي يعمل بائع مجوهرات، وقدم الدلائل المقنعة بالنسبة لي أن تلك المجوهرات ملكية خاصة لـ "سميث"".

استمع "جاك" إلى حديثه في ذهول، لكنه شعر بالراحة إلى حد كبير، ثم قال: "لكنها تطابقت مع الوصف تمامًا".

"أعلم أنها تتشابه تمامًا مع المجوهرات المفقودة التي باعها (ستارتلي) بائع المجوهرات للسيدة

"كرو- ساندرز"، لكن في واقع الأمر الرجل الذي احتجزته كان أحد رؤساء "ستارتلي".

وهنا لم يستطع "جاك" أن ينبس ببنت شفة، حتى تابع كبير المفوضين حديثه: "وبناء عليه يا "دانتون" فإن حديثي حول إبقاء عينيك مفتوحة على سارق المجوهرات في حفلة آل "ويديكومب" لم يكن إلا مزحة، أنا أسيطر على الوضع بشكل جيد، وتدخلك قد يفسد كل شيء".

لم يستطع "جاك" أن يضيف شيئًا آخر، لكنه شعر بالامتنان الشديد لأن ظنونه تجاه "باربرا" لم يكن لها أي أساس من الصحة.

وأجاب: "فهمت يا سيدي"، على الرغم من أنه لم يفهم شيئًا على الإطلاق.

الفصل الرابع

"إنها طبيعة المجتمع"

قالتها السيدة "ويديكومب" في صرامة شديدة وهي تخاطب "ديانا": "يمكن للمجتمع أن يغفر لسارق لكنه لا يغفر أبدًا تشويه السيرة الحسنة".

فضحكت "ديانا" وهي تؤرجح المروحة الخاصة بها ذهابًا وإيابًا وتثبت عينيها على أرضية قاعة الرقص التي تعج بالراقصين، ثم أردفت ساخرة: "هذا يدل على مدى عدم أخلاقية المجتمع".

كانت حفلات السيدة "ويديكومب" الراقصة، التي أقامتها خلال الأسبوع الخاص بلعبة الكريكت ، تجذب جميع من في البلدة حيث

تزاحمت السيارات التي تنتظر بالخارج حتى امتدت في صفوف من بوابة المنزل إلى قاعة الضيافة.

ثم أضافت ديانا: "أخبرتني السيدة "كرو-ساندرز" أن لا أحد يستطيع الدخول إلى "قلعة موربلي" تلك إطلاقًا باستثناء شخص يعرف المداخل والمخارج جيدًا".

قالت السيدة ويديكومب: "إن السيدة "كرو-ساندرز" ضحية فاحشة الثراء دون شك".

ضحكت "ديانا" ثم تابعت حديثها "أحاطت المرأة المسكينة نفسها بالمجوهرات، لدرجة أنه لم يكن يفوتها أي جديد في عالمها، لكنه لأمر يدعو للحيرة فعلى الرغم من وجود الكثير من المدعوين ووفرة المجوهرات، فإن اللص فضل الاستيلاء على ممتلكاتها هي تحديدًا".

قالت السيدة "ويديكومب": "أستطيع أن أسامح في أمر هذه السرقة، لكن ما يفعله ذلك المدعو "فاعل خير" لا يغتفر أبدًا. إن فكرة كتابة خطابات مجهولة الهوية تستحق الاحتقار بالفعل. أما هذا الذي يُقدِم على أفعال شريرة وخبيثة تتسبب في كسر القلوب وتدمير الأرواح، فهو الأسوء. إن هذه المرأة كاتبة الخطابات تستحق ان تنال أقصى عقوبة".

سألت "ديانا" في فضول: "لماذا تفترضين أن الشخص الذي يكتب تلك الخطابات امرأة؟".

فأجابتها السيدة "ويديكومب": "لأن الرجال لا يفعلون مثل هذه الأشياء".

هزت "ديانا" المروحة ببطء ثم قالت: "أعرف رجال قد يفعلون أكثر من ذلك"، ثم توقفت فجأة

عن الكلام والتفتت لتجيب تحية الفتاة التي أتت إلى المكان الذي يجلسون فيه..

قالت "ديانا": "أهلاً بكِ يا "باربرا ماي".. لمَ لا ترقصين؟"

بدت "باربرا ماي" لافتة للنظر في ثوب السهرة الخاص بها حينما وقعت عيناها الباسمتان على "ديانا"، وتحدثت وهي تشير إلى البروش اللامع على ثوب "ديانا" الأبيض: "ألا تخشين ارتداء الألماس الخاص بك اليوم يا ديانا؟".

فأجابتها "ديانا": "لا أظن أن السارق سيأتي إلى هنا".

قاطعتهم السيدة "ويديكومب"، وتوجهت بحديثها إلى "باربرا": "هل تبحثين عني يا عزيزتي؟".

فقالت "باربرا": "نعم أردت أن أخبرك أنني بدلت غرفتي".

قالت السيدة بامتنان شديد: "هذا لطف منك.. هل أنتِ متأكدة من أنكِ لا تمانعين تغيير غرفتك؟".

"لا، على الإطلاق"

وفي محاولة من السيدة "ويديكومب" لإيضاح الأمر قالت: "لقد مرضت واحدة من أبناء عم "ويديكومب"، وتفضلت باربرا مشكورة بتبديل الغرفة معها".

ابتعدت "باربرا" بعيدًا إلى ساحة الرقص وظلت السيدة "ويديكومب" تتبعها بعينيها.

ثم قالت لـ ديانا: "بالمناسبة لقد أخبرتني "باربرا" أن ذلك المدعو "فاعل خير" الغامض قد كتب خطابًا مروعًا عنها، وأرسله إلى إحدى معارفها أيضًا".

فقالت ديانا وهي تبتسم: "يبدو أنها لا تكترث لأمر هذا الخطاب بالمرة".

فعلقت السيدة "ويديكومب" على حديثها بغضب: "أعتقد أنه لأمر بغيض.. الشخص الذي يكتب مثل هذه الخطابات يجب أن يلقى أشد العقاب".

وفي هذه الأثناء اجتمع بعض المدعوين في غرفة المكتبة الواسعة، التي تحولت إلى غرفة للمدخنين في هذه الليلة فقط.

دار الحديث حول سرقة قلعة "موربلي"

وأنشطة "فاعل خير". قام السيد ويديكومب (وهو رجل نحيل طويل القامة يتمتع بحس الفكاهة) بالإشارة إلى الإثم الذي فعله كاتب الخطابات مجهول الهوية. هذا الشخص المؤذي سواء كان هو أو هي، وحجم الفوضى الذي سببها بالفعل في ثلاثة منازل، وها هو يوشك على نشر السم في المنزل الرابع أيضًا.

أما فيما يتعلق بلص المجوهرات، فشعر اللورد ويديكومب بالاستمتاع الشديد بالحديث في هذا الشأن، فمثل هذه الجرائم تذكره بالأحداث الكثيرة التي مرت عليه في الهند.

إذ أردف اللورد ويديكومب بقوله: "الألماس، أظن أنه يأخذ الألماس لأنه يمكنه بيعه بسهولة. عندما كنت حاكمًا لبومباي وقعت واحدة من أكثر جرائم السرقة إثارة، كان نجاح هذه الجريمة

سيؤدي إلى وقوع الحكومة البريطانية في فوضى عارمة.. هل سمعتم من قبل بجوهرة كالي؟ لا أظن أنكم سمعتم عنها، مع ذلك فهو حجر شهير جدًا له حجم معقول وقيمته الحقيقية لا تسوى الكثير من الجنيهات، لكن في حقيقة الأمر لا يمكنك شرائه حتى بالملايين منها.

يرجع هذا إلى أن هذا الحجر الصغير نُقش في أحد جوانبه آيه كاملة من أحد الكتب المقدسة بواسطة رجل من السكان الأصليين، كان هذا النقش على الحجر دقيقًا للغاية مما جعل السكان الأصليون يظنون أن له أصل إلهي مقدس، وأقاموا له يومًا جليلا خاصا به، بمثابة يوم ل"عرض الحجر"، أظن أن هذا اليوم موعده سيحين بعد شهر أو اثنين من الآن.

حدثت بالفعل محاولة أو أخرى لسرقة الحجر،

وأخيرًا قررت الحكومة البريطانية التدخل للحفاظ عليه وحراسته، وتم وضع هذا الحجر تحت حراسة مشددة، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع بعض اللصوص الاستيلاء عليه قبل أسبوع أو أسبوعين من اليوم المقدس. وبات كل أفراد الحكومة في رعب شديد مما سيؤول إليه اختفاء الحجر، لكن لحسن الحظ تمكنا من التواصل مع اللصوص لاستعادة الحجر، وكلفنا الأمر الآف الجنيهات للحصول عليه مرة أخرى".

قال أحد المدعوين: "افترض أنك أخبرت الجميع حينها عن اختفاء الحجر؟".

أجاب اللورد ويديكومب: "بالطبع لا، إن إخبار الناس يعد أكثر الأفكار خطورة على الإطلاق. فلم نستطع أن نخبر السكان الأصليين أن حجرهم سُرِق بالطبع، فالشائعات تنتشر سريعًا وهذا الأمر

كان سيؤدي إلى الكثير من الفوضى. ففضلنا أن نبقي على الأمر في سرية تامة".

الفصل الخامس

كانت الفرقة الموسيقية قد انتهت للتو من عزفها لمقطوعة صاخبة في الحفل الراقص، في اللحظة التي كانت باربرا ماي تسير إلى جوار جاك دانتون ناحية الشرفة لبعض الوقت.

حتى قالت له: "هل تعلم يا سيد دانتون أنني شغلت بالتفكير بك كثيرًا".

فأجابها: "أعتذر أنني كنت سببًا في إرهاقك بكثرة التفكير"

- " لقد كنت أتساءل عن طبيعة عملك، كان الناس يرددون أن لديك وظيفة غامضة، لكنني أدرك الآن ما هي على وجه التحديد".

جلس جاك بجانبها ثم قال في هدوء: "وما هي إذًا؟"

فقالت: "أنت رجل شرطة"

فزع جاك من صحة توقعها، فضحكت باربرا لردة فعله كثيرًا، ثم سألها: "هل أبدو لكِ رجل شرطة؟"

أجابته: "ليس كأي رجل شرطة عادي، لكنك تبدو من رجال الشرطة الأذكياء للغاية، الذين يلتحقون بأقسام خاصة"

فقال جاك ممازحًا إياها: "لو أنني رجل شرطة كما تقولين، فيبدو أنني لا أتقن إخفاء هويتي"

قالت في إصرار: "لكنك رجل شرطة، هل أنا على صواب فيما أقوله؟"

- "إن لم أكن رجل شرطة لشعرت بالانزعاج من ظنونك الخاطئة، لكنني لن أنزعج منك أبدًا آنسة باربرا ماي"

قالت باربرا: "إذًا سؤالي لكَ سيكون؛ هل جئت تبحث عن ذلك المدعو "فاعل خير" مرسل الخطابات، أم سارق المجوهرات؟"

وهنا أجابها جاك: "هل تعتقدين أن شرطة سكوتلاند يارد ستبحث من تلقاء نفسها في مسألة مرسل الخطابات إلا بعد تلقي شكوى أو بلاغ رسمي؟"

أجابت باربرا: "بالطبع لا، هذا يعني أنك تبحث عن السارق إذًا، سارق قلعة موبلي الاستثنائي"

فقال في دهشة: "الاستثنائي؟ هل هذا ما يطلقه

الناس عليه؟"

أجابته في هدوء: "أنا من أطلق عليه هذا الاسم، لكنني تمنيت حقًا لو كنت مكلفًا بالبحث عن المدعو "فاعل خير" مرسل الخطابات".. أتساءل من التي تكتبها؟"

- "إذًا، أنتِ تعتقدين أنها امرأة؟"

هزت باربرا كتفيها ثم قالت: "حسنًا كل هذه الخطابات مكتوبة بواسطة امرأة خبيثة وشريرة لدرجة كبيرة، أتعلم أنها فرقت بين عائلة الفلاترلايز؟ أما عن " توم فولر" فقد رفع قضية طلاق من زوجته و"السيدة سلي" غادرت خارج البلاد، الأمر الذي يحزن والدتها بشدة".

أومأ جاك برأسه في أسف ثم قال: "مثل هذه الجرائم البغيضة لا تغتفر، أستطيع أن أغفر أمر

السرقة لكن إثارة الشائعات السيئة لا يمكن أبدًا. الشخص الذي يطعنك من الخلف هو مجرد وحش بشع".

في وقت لاحق أثناء صعود باربرا ماي الدرج إلى غرفتها أخذت تتأمل جاك، الذي كان يتحدث بجدية مع السيدة ويديكومب، وظلت باربرا تنظر إليه في سعادة بادية على وجهها عندما قاطعتها ديانا، التي كانت ترتقي الدرج من خلفها وهي تقول: "ما الذي يسعدك هكذا يا باربرا ماي؟"

فقالت باربرا: "بعض الأفكار التي تدور بعقلي"

فأردفت ديانا: "أنت محظوظة لاستطاعتك الابتسام هكذا، فقد صار ينتابني شعور بالملل في مثل هذه السهرات، ملل من برودة الأجواء، ملل من الإرهاق، ملل من قلة النوم.. هل تفهمين ما أعنيه؟".

التفتت باربرا ووجهت نظرها إلى ديانا ثم قالت في هدوء: "لماذا أتيتي إذا كان هذا ما تشعرين به؟"

أجابتها ديانا: "على المرء أن يفعل أي شيء في حياته"

فسألتها باربرا: "لما لا تبحثين عن عمل؟"

كانت باربرا تعرف جيدًا أن ديانا هي الوريثة الشرعية لواحد من أغنى ملاك الأراضي في البلدة، لكنها أرادت أن تثير غضبها بعض الشيء بسؤالها هذا.

أردفت ديانا: "وماذا تقصدين بالعمل؟ أن ألتحق بمؤسسة التمريض؟ أم أصبح كاتبة في وزارة الخارجية؟"

فقالت باربرا: "لقد عملت في كليهما. وكلاهما ممتاز بالمناسبة. إنني أؤمن أن اليوم الذي يمر هكذا دون عمل أو فائدة يسبب الأرق أثناء الليل".

قالت ديانا وهي تضحك: "باربرا ماي أنتِ تستطيعين القيام بأي شيء".

فابتسمت باربرا ثم قالت: "لا تسخري من كوني إنسانة نافعة".

انتهت الفتاتان من محادثتهما التي لو استمعت إليها السيدة ويديكومب كانت لتتأكد أن الشعور بالكره متبادل بينهما.

ولكن حتى جاك دانتون الرجل الذكي ذاته لو كان قد أنصت إلى هذه المحادثة فلم يكن ليخمن

قط أن هذا المشهد، الذي دار فوق الدرج، قد خطط له بنية مسبقة من قبل باربرا، وتم فرضه على ديانا، حيث سبقت باربرا خطوات ديانا على الدرج خصيصًا لتفتعل ما يزعجها، كما أنها خططت أيضًا أن تعتذر عن وقاحتها في الحديث ولكن في وقت لاحق.

وبالفعل وما إن ذهبت ديانا مع خادمتها إلى غرفة النوم لم يمر وقت قليل حتى طرق باب الغرفة، وقامت بفتح الباب فوجدت باربرا أمامها، تقول: "جئت لأعتذر عن وقاحتي معكِ يا ديانا".

فابتسمت ديانا: "عزيزتي أظن أنه خطئى أنا. أحيانًا ما يشعر المرء بالإرهاق في هذا الوقت المتأخر".

ثم قالت باربرا في إعجاب بما ترى: "يا لها من غرفة نوم جميلة، وفرشاة الشعر تلك التي

تملكينها رائعة للغاية. أعتقد أن العيب الوحيد في هذه الغرفة أن سقفها منخفض بعض الشيء".

تعجبت ديانا من إعجاب باربرا بأشياء تافهة كتلك، ثم قالت لها: "أنا لا أكترث لأمر السقف، كل ما يهمني أن أنام والنافذة مفتوحة على مصراعيها".

قالت باربرا: "على الرغم من وجود السارق؟"

فأجابتها ديانا: "لا يوجد خطر كبير، هل أنا محقة؟"

وهنا ألقت باربرا نظرة خارج النافذة. ثم قالت: "ترتفع غرفتك عن الأرض بحوالي ثلاثين قدمًا وأظن أنه لا أحد يستطيع أن يصل إلى هنا بسهولة"، واختتمت حديثها وهي تنصرف: "يجب أن أذهب الآن.. تصبحين على خير".

توجهت باربرا إلى باب الغرفة في طريقها للخروج، ثم التفتت إلى ديانا وقالت: "هل تريدين كوب من الشيكولاتة؟".

كانت باربرا تعلم جيدًا مدى عشق ديانا للشيكولاتة وأنها لن ترفض عرضها أبدًا ثم تابعت: "أنا أمتلك ماكينة كهربائية في غرفتي، أستطيع أن أصنع شيكولاتة ممتازة بها".

فقالت ديانا: "نعم، أريد الشيكولاتة بالطبع! سوف أرسل الخادمة إليكِ كي تحضرها إليَّ".

أجابتها: "ستصبح جاهزة في أقل من ثلاث دقائق.. متأكدة أنكِ سامحتينني؟".

فقالت ديانا: "لو لم أكن سامحتك من قبل، سأعفو عنكِ بالتأكيد الآن بعد كوب الشيكولاتة".

وبالفعل أرسلت باربرا الشيكولاتة إلى ديانا وكانت شيكولاتة لذيذة للغاية. ثم جلست ديانا على السرير الخاص بها وأخذت تحتسي السائل الساخن في استمتاع، فيما بدت وهي تفعل ذلك كاللوحة الجميلة المرسومة بدقة، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها ديانا بمشاعر جيدة تجاه باربرا ماي.

انتهت من مشروبها ثم أعطت الكوب إلى خادمتها قائلة لها: "سأطفئ الأنوار وأغلق الباب يا أميلي، تصبحين على خير، أعتقد أنني سأخلد إلى النوم الآن".

توقعت باربرا ماي أن ديانا ستخلد إلى النوم سريعًا، وما إن حدث ذلك حتى قامت بأخذ زجاجة صغيرة من حقيبتها، التي كانت تمتلئ بسائل شفاف وأفرغتها كلها عبر النافذة، ثم نظرت

نظرة سريعة إلى الساعة وقامت بغلق الستائر وتبديل ملابسها، ارتدت البنطال المخصص لركوب الخيل ووضعت على نفسها سترة من الصوف بالإضافة إلى جوارب سميكة.

وفي تمام الساعة الثانية رفعت باربرا الستائر وتسلقت حاجز الشرفة، الذى لا يتعدى عرضه اثنتى عشرة بوصة. لكن الفتاة كانت تمتلك أعصابًا من حديد، مكنتها من العبور على الرغم من أن أية زلة قدم بسيطة منها كانت ستودي بحياتها.

سارت باربرا في طريقها دون تعثر على طول الحاجز الضيق في اتجاه غرفة ديانا، التي تقع في الطابق نفسه مع غرفتها، ويفصل بين الغرفتين غرفة أخرى فارغة فقط.

وما إن وصلت باربرا إلى جوار نافذة ديانا حتى

تسللت إلى داخل الغرفة على الفور. كانت ديانا تغط في نوم عميق، فاقتربت باربرا منها وأنصتت إلى صوت أنفاسها كي تتأكد مما تراه، ووجدتها تتنفس بشكل طبيعي لكنها لم تتحرك حركة واحدة، وهنا اطمئنت باربرا أن مفعول المخدر الذي وضعته في كوب الشيكولاتة يسري بشكل جيد، وأنه يمكنها الآن أن تنجز عملها بسلام.

أوشكت على فتح الأنوار لكنها تراجعت حتى لا تلفت نظر أي شخص يمر خارج الغرفة، فأخذت المصباح الكهربائي من جيبها ومعه مجموعة من المفاتيح.

كانت باربرا تعلم جيدًا أن ما أتت من أجله هو البروش اللامع الذي ارتدته ديانا في الحفل هذه الليلة، وأن السبب الرئيس وراء زيارة باربرا الأولى إلى غرفة ديانا بحجة الاعتذار، رغبتها في معرفة

مكان صندوق المجوهرات الخاص بها.

حاولت باربرا فتح ذلك الصندوق بالمفاتيح عدة مرات، ونجحت في ذلك بعد المحاولة الثالثة، وهكذا حصلت على البروش الذي تبحث عنه، انتهت باربرا من عملها ثم خرجت من الغرفة إلى الفناء الخارجي وأغلقت باب الغرفة في هدوء. أنصتت إلى صوت الحارس الليلي الخاص بالسيد ويديكومب، وما إن تأكدت أنه في الطابق السفلي حتى أكملت طريقها ببطء عائدة إلى غرفتها.

وعندما وصلت إلى باب غرفتها سمعت صوت شخص يصعد الدرج، فأسرعت باربرا بتحريك مقبض الباب لكنها فشلت في فتحه. وتذكرت سريعًا أنها أغلقت الباب من الداخل. وهكذا لم يبقَ أمامها سوى حل واحد بعدما وجدت باب الغرفة التي تقع في المنتصف مفتوحًا فذهبت إليها في

عجالة، ومن حسن حظها أنه كان مفتوحًا فتسللت إلى داخل الغرفة بهدوء.

وفي تلك الأثناء لمحت رأس الرجل من خلف الباب وهو يصعد الدرج حتى ظهرت هويته؛ كان هذا الرجل جاك دانتون.

انطلقت باربرا مباشرة إلى النافذة التى كانت مفتوحة بدورها، ولملمت شتات نفسها ثم تسلقت عبر النافذة إلى الحاجز الخطير ذاته المؤدي إلى غرفتها حتى وصلت إلى الغرفة في أمان. ثم قامت باستخراج بعض المعدات من أمتعتها الكثيرة. فقد كانت تمتلك باربرا صندوقًا كبيرًا في حوزتها، ومن ثم بدأت في تصوير بعض الأوراق التي جلبتها من غرفة ديانا، وقد استغرق هذا العمل الليل بطوله حتى انتهت منه في نهاية المطاف.

ومن ثم عادت إلى غرفة ديانا مرة أخرى عن طريق حاجز الشرفة من جديد، ووضعت الأوراق في أماكنها ثم تسللت إلى غرفتها في طريق العودة، وقامت بوضع البروش بحرص شديد داخل صندوق صغير مصنوع من الورق المقوى، وخبأته أسفل الوسادة.

الفصل السادس

في صباح اليوم التالي، كانت باربرا أول من استيقظ وتوجه إلى الطابق السفلي، كانت تبدو مشرقة وجذابة في ثوبها الرمادي. والتقت جاك دانتون مصادفة حيث كان عائدًا من نزهته الصباحية، ويبدو أنه الضيف الوحيد الذي استيقظ في هذا الوقت المبكر أيضًا.

ألقى جاك التحية عليها: "صباح الخير آنسة باربرا، يبدو أنكِ من النوع الذي ينهض من النوم مبكرًا".

- " بالفعل.. أنا كذلك، لكن تعرف؟ لا توجد فائدة كبيرة وراء الاستيقاظ في وقت كهذا، حتى الدودة التي تفيق مبكرًا تأكلها العصافير".

ثم ذهبا للتنزه سويًا في الخارج، ووقفا يتأملان الطبيعة الساحرة للأشجار التي تمتزج مع مياه النهر. وهنا أردفت باربرا: "إنه لشيء جميل أن تحيا وسط الطبيعة".

جال جاك في فكره لوهلة حين تذكر أنه لديه مجموعة من الرسائل التي يريد أن يرسلها عبر البريد، وقال لها: "كنت أتمنى أن أمتلك الطاقة الكافية للذهاب إلى مكتب البريد الآن سائرًا".

فأجابته: "سأقوم بتشجيعك على الذهاب، انتظر هنا، سوف أحضر قبعتي وآتي معك".

اعتقدت باربرا أنه ربما يريد إرسال التقارير إلى رئيسه في العمل، وسارا معًا بالفعل في اتجاه مكتب البريد حتى انتهى جاك من إرسال الخطابات، وفي طريق عودتهما توقفت باربرا فجأة. ثم قالت له: "نسيت أن أحضر بعض طوابع

البريد، انتظرني هنا، لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة".

ذهبت "باربرا" مجددًا إلى مكتب البريد، وأخرخت خطابًا من جيب معطفها ثم سلمته إلى رجل البريد: "أريد أن أرسل هذا عن طريق البريد السريع، إنه مختوم بالفعل".

فحص رجل البريد العنوان ثم وضع الخطاب داخل حقيبة أمامه وقال لها: "بكل تأكيد يا سيدتي".

عادت باربرا إلى جاك مرة أخرى: "قررت ألا أشتري الطوابع حتى لا تنتظر كثيرًا، أعرف جيدًا الشعور الذي ينتاب المرء في الصباح قبل تناول وجبة الإفطار".

سألها جاك: "متى ستذهبين إلى لندن؟"

فأجابته: "بعد الظهيرة، أردت الذهاب في الصباح الباكر لكني تراجعت عن الأمر، فأنت تعرف بالطبع عن قصة السارق، وتوقعت احتمالية مجيئه أثناء الليل فخشيت أن أثير الشكوك حولي إن غادرت سريعًا هكذا".

فبادرها جاك بقوله: "لا أظن أن السارق أتى هذه الليلة".

ذهبا سويًا لتناول الإفطار بينما كان السيد والسيدة ويديكومب بالأسفل وبصحبتهما بعض الضيوف المدعوين.

سأل السيد ويديكومب زوجته عن ديانا: "أين ديانا؟"

فأجابته السيدة ويديكومب: "أنت تعرف جيدًا

أن ديانا لا تستيقظ قبل الثانية عشر".

لم تكن ديانا الفتاة مفضلة بالنسبة للسيد ويديكومب على الرغم من أنها من أقربائه، فقال: "لطالما أردت أن تقضي ديانا حياتها بشكل مرح أكثر من ذلك".

لم تستيقظ ديانا في واقع الأمر حتى الساعة الواحدة، لكنها حين نهضت من نومها كانت تشعر بانتعاش شديد، فقد خلدت في نوم عميق لمدة اثنتى عشرة ساعة كاملة، وهذه هي المرة الأولى التي تنام فيها بهذا الشكل، فقد كانت تجربة استثنائية بالنسبة لها.

أردفت ديانا وهي تحتسي كوبًا من الشاي: "يجب أن أسأل باربرا عن وصفة الشيكولاتة تلك"، ثم وجهت حديثها إلى الخادمة: "هل يوجد أي خطابات من أجلي يا أميلي".

فوضعت الخادمة مجموعة من الخطابات أمام ديانا على فراشها، وشرعت الأخيرة في تصفحها سريعًا.

وبعد نصف ساعة ارتدت "ديانا" ملابسها وأحضرت صندوق المجوهرات لتخرج منه عقد اللؤلؤ الذي رغبت في ارتدائه في النهار، وعندما فتحت الصندوق لم تجد البروش الخاص بها في مكانه! وسرعان ما قالت لخادمتها: "أين البروش المصنوع من الألماس يا أميلي؟".

- "وضعتيه في الصندوق الليلة الماضية يا سيدتي، لقد رأيتك تضعينه".

قالت ديانا: "هل أنتِ متأكدة؟"

- "نعم يا سيدتي".

أخذت ديانا تبحث داخل الصندوق، كانت كل المجوهرات موجودة في مكانها حتى الخاتم الزمردي الذي يساوي ثروة هائلة، ووحده البروش الألماسي فقط الذي كان مفقودًا.

ركضت ديانا أسفل الدرج حتى لاقت اللورد ويديكومب في الردهة، قالت له في فزع: "أخذ أحدهم البروش الألماس الخاص بي يا ويديكومب".

نظر ويديكومب في اتجاه جاك دانتون، الذي كان يتحدث مع باربرا ماي، وما إن التفت إلى ما يحدث حتى ذهب إليه، فقال له اللورد ويديكومب في صوت خفيض: "لقد سُرِقَ البروش الألماس من ديانا، يا جاك من فضلك قم بتفتيش جميع الغرف".

قام جاك بالبحث عن البروش الألماس لكن محاولاته كانت بلا جدوى، فقد اختفى البروش تمامًا، وهنا ذهب جاك إلى اللورد ويديكومب في المكتبة وهو يبدو عليه الانزعاج، وقال له: "أنا لا أفهم! لقد أخبرتني ديانا أنها دائمًا ما تغلق الباب وتترك المفاتيح بالداخل، لكن الباب لم يكن مغلقًا في الصباح".

فقال له اللورد ويديكومب: "هل تعتقد أنه يمكن فتحه من الخارج بأية أداة معدنية؟".

- " لقد حاولت تجربة الأمر، لكن هذا شيء مستحيل"

- " كيف حدث ذلك إذا؟ هل استمعت ديانا إلى أية ضوضاء؟"

- "لم تسمع شيئًا، ويستحيل دخول أي شخص

من الخارج إلى المنزل، إلا إذا تمكن أحد الضيوف الذين يشغلون غرفة في الطابق نفسه من السير على حاجز الشرفة".

- "لا أحد يقوى على هذا الفعل؛ إنه أمر يحتاج أعصاب حديدية".

وهنا قال جاك: "لا نعرف حقيقة ما يقوى هذا السارق على فعله، على أية حال علينا أن نخبر الضيوف جميعهم بما حدث، وأقترح أن نقول لهم إنه من الممكن أن يكون أحد الخدم سرقه وخبأه في غرفة سيده، وبناءً عليه وفي ظل هذه الظروف لن يحتجوا على البحث في غرفهم".

أومأ السيد ويديكومب برأسه بالموافقة قائلا: "هذه فكرة جيدة". وشرع في مواجهة ضيوفه الذين رضخوا لطلبه بسهولة. من ثم فتش جاك تفتيشًا دقيقًا لكنه لم يثمر عن أية نتائج تذكر،

البروش اختفى تمامًا! وعاد جاك ينضم للورد في مكتبته.

تعاملت ديانا مع الموقف بهدوء شديد على غير عادتها: لا أكترث لسرقة البروش؛ إنه مؤمن عليه، على الرغم من أنه كان بروشًا جميلا جدًا، اشتريته من محل "ستريتلاي" بائع المجوهرات منذ شهر فقط".

قال السيد ويديكومب في عبوس: "هذا غريب".

قالت الزوجة: "ماذا تعني يا ويديكومب؟"

فأجابها: "السيدة كرو- ساندرز التي فقدت البروش الألماسي من قبل قد اشترته منذ شهر أو شهرين أيضًا من متجر ستريتلاي".

قال أحد الضيوف: "وما الغريب في ذلك؟ ستاريتلاي أحد أشهر بائعي المجوهرات، وأظن أن نصف المجوهرات التي ترتديها النساء تبتاع من عنده".

قالت ديانا: "ما يحزنني أن هذا اللص تسلل إلى غرفتي أثناء نومي".

شاركها اللورد ويديكومب الشعور ذاته قائلا: "لا أعرف كيف أتته الجرأة أن يقدم على فعل ذلك، أشعر بالحنق الشديد لما حدث، فقد وددت أن يمضي الأسبوع بلا مشكلات".

الفصل السابع

أجرى جاك بحثًا كاملا حول القصر وأسفل النافذة الخاصة بغرفة ديانا، كان يبحث عن أي أثر يدل على وجود سلم خارجي قد استخدم في الصعود إلى الغرفة، لكنه فشل في العثور على أي شيء.

وطيلة الوقت الذي استغرقه في البحث كان على يقين داخلي بأن السرقة حدثت بواسطة شخص من داخل القصر. استبعد جاك أن يكون الفاعل واحدًا من الخدم، فعلى الرغم من إحضار جميع المدعوين خدمهم، فإن الخدم كانوا يمكثون في جزء من المنزل يصعب عليهم الوصول إلى غرفة ديانا في منتصف الليل.

شعر جاك بالاضطراب الشديد وقرر الذهاب

للتحدث مع اللورد ويديكومب. فدخل إلى المكتبة حيث وجده يسير ذهابًا وإيابًا بها.

بادره اللورد: "هل عثرت على شيء يا دانتون؟"

هز جاك رأسه بالنفي. فتابع اللورد حديثه: "لا شيء؟ تمنيت بشدة ألا يحدث ذلك. أعرف أن ديانا يمكنها تحمل النفقات فهي ثرية جدًا، الأمر أنني فقط أريد أن أعرف من هو ذلك اللص.. فهو شخص من داخل هذا المنزل بالطبع، ربما أحد المدعوين". ثم عزم على سؤاله فجأة: "متى ستذهب إلى المدينة؟".

أجابه جاك: "اليوم.. سوف أستقل القطار ذاته مع الآنسة باربرا ماي".

قال اللورد: "باربرا ماي، إنها فتاة جميلة لكنها سيئة الحظ للأسف".

"ماذا تعني؟"

"أتعلم أنها كانت موجودة في كل منزل وقعت فيه جريمة السرقة. بمعنى آخر؛ كلما ظهر هذا الزائر الغامض كانت باربرا ماي من ضمن الضيوف. أنا لا أقترح أن باربرا تعرف أي شيء عن السارق الشرير، فهذا اقتراح لا يصدقه عقل، لكنها الحقيقة التى لا يمكن إنكارها، وقد لفتت ديانا نظري إليها".

قال جاك: "حسنًا فيما يتعلق بهذه المسألة ديانا أيضًا كانت من ضمن المدعوين في معظم الأماكن التي وقع فيها حادث السرقة".

قال اللورد: "نعم أنت محق، لا أعتقد أنه علينا أن نشك في باربرا ولا في ديانا. أنا لست مفتش شرطة كما تعرف. كل ما في الأمر أنه إذا افترضنا

أن السارق أحد الضيوف، فحتمًا الجوهرة لا تزال في المنزل. إلا إذا...".

سأل جاك "إلا إذا ماذا؟"

قال اللورد في بطء "إلا إذا تمكن السارق من إبعادها عن المنزل".

قال جاك: "هذا الفعل يحتاج بالضرورة إلى وجود شريك للسارق، وأنا أظن أنه يعمل بمفرده".

قال اللورد: "إما شريك أو تم إرسال البروش عبر البريد".

ضحك جاك ثم قال: "الإرسال عبر البريد يتطلب الاستيقاظ مبكرًا جدًا، الشخص الوحيد الذي ذهب إلى البريد في الصباح الباكر هو أنا...".

لكنه صمت فجأة عندما تذكر أن باربرا ماي قد ذهبت بصحبته إلى مكتب البريد في الصباح الباكر.

فسأل اللورد في فضول: "لم يذهب أحد آخر؟"

فأجابه جاك: "لا، لا أحد"

غادر جاك غرفة مضيفه وبمجرد أن استطاع التسلل إلى خارج المنزل ذهب إلى مكتب البريد على وجه السرعة، فقد كان يجب عليه أن يقطع الشك الذي يعذبه ويزعجه كثيرًا. فلا يعقل أن تكون باربرا ماي هي السارقة.

وعند وصوله إلى مكتب البريد وجد رجل البريد العجوز يقوم بعمله، فقال جاك مخاطبًا إياه: "عليك أن تفهم جيدًا يا (سيد فيلرز) بصفتك

موظفًا حكوميًا أن ما أقوله لك الآن سري للغاية".

ومن ثم مرر جاك بطاقة التعريف الخاصة به عبر الطاولة إلى الرجل العجوز الذي قام بارتداء نظارته ثم قرأ البطاقة، وقال الرجل في تعجب: "لم أكن أعلم يا سيدي أنك تعمل في الشرطة.. هل يمكنك مساعدتي في شيء يتعلق بابن أخي ...".

وقبل أن يكمل حديثه قاطعه جاك: "كم عدد الطرود التي أرسلت عبر مكتب البريد اليوم؟"

أجاب الرجل " لا يوجد يا سيدي".

تنفس جاك الصعداء "ماذا عن الخطابات، هل يمكنك تتبعها؟"

"لا يا سيدي.. الخطاب الوحيد الذي امتلك عنه

معلومات خطاب أرسل عبر البريد السريع هذا الصباح".

سأل جاك في لفهة "من أرسله؟"

"تلك السيدة الشابة، أظن أنها تدعى الآنسة باربرا ماي".

قال جاك "هل أنت متأكد؟"

"نعم بكل تأكيد يا سيدي.. لقد أتت معك في الصباح، ثم عادت إليّ وقالت إنها نسيت أن ترسل خطابها".

تذكر جاك في هذه اللحظة أن باربرا قد عادت مرة أخرى لشراء بعض الطوابع على حد قولها. ثم سأل جاك وهو يشعر بالضيق: "كيف كان يبدو هذا الخطاب؟"

- "كان خطابًا ضخمًا للغاية، كأنه يحتوي على صندوق من الورق المقوى بداخله".

- "إلى أين تم إرساله؟ هل تتذكر العنوان؟"

- "نعم أتذكر يا سيدي. لقد احتفظت بالعنوان معي إذ إنه من غير المعتاد أن يرسل خطاب عبر البريد السريع من هنا".

بحث الرجل في بعض السجلات أمامه ثم قال: "أرسل إلى السيد "سينج" 903 طريق "بيرد إن بوش" - بيكهام. لقد تعجبت كثيرًا من العنوان فلم أكن أعلم أن هناك طريقًا بهذا الاسم في لندن.

قام جاك بتدوين العنوان في سرعة بالغة ثم فكر لوهلة: "سينج".. اسم رجل هندي"، وحاول ربط

الاسم بأي حدث قد سمع عنه مؤخرًا.

عاد جاك إلى المنزل في بطء منشغلا بالتفكير في باربرا ماي، فهو يدرك ما تعنيه له باربرا، ويدرك كل الآمال العريضة التي وضعها عليها. وفي الوقت نفسه لا يقدر على تصديق أنها هي سارقة المجوهرات. مع ذلك كل الحقائق الجديدة التي تقوده إليها تؤكد هذه الفكرة، علاوة على المقابلة التي دارت بينها وبين "السيد سميث" في هايد بارك، وحقيقة امتلاكه للبروش الذي يتشابه تمامًا مع البروش المفقود. كل هذه الدلائل تعد تأكيدًا لشكوكه.

تعاملت ديانا مع مسألة السرقة باستخفاف شديد وقررت الذهاب إلى غرفة باربرا ومراقبتها أثناء حزم حقائبها، وقالت لها: "أتعلمين يا باربرا أن التعاطف الذي حصلت عليه من العالم نتيجة

لفقدان البروش يعني لي الكثير، حتى أنني نسيت أمر البروش؟".

قالت باربرا: "أظن أنكِ تكذبين يا ديانا".

تابعت ديانا: "يا لها من أمتعة كثيرة تلك التي تحضرينها لتأخذيها معكِ! هذا الصندوق الكبير وحقيبتان من ملابس، وكأنكِ تستعدين للقيام بجولة حول العالم".

ضحكت باربرا: "نعم، وهو كذلك".

ومن ثم اشتمت ديانا رائحة شيء ما؛ رائحة عطر مميز، وأدركت أنه العطر الذي صنع خصيصًا من أجلها. فقالت لها: "اعذريني، ولكن ما هذ العطر يا باربرا؟".

قالت باربرا في ذهول: "عطر! نعم لقد لاحظت

وجوده واشتممته بالفعل، لكني لا أستخدم إلا عطر اللافندر".

قامت ديانا بالتحدث في موضوع آخر ثم بعد دقائق قليلة ذهبت إلى غرفتها ودقت الجرس في طلب خادمتها.

- "أين العطر الخاص بي يا أميلي؟".

- "لقد وضعتِه في صندوق المجوهرات يا سيدتي".

قامت ديانا بفتح صندوق المجوهرات ووضعت يدها داخل الصندوق، ووجدت زجاجة العطر الصغيرة. لاحظت أن الغطاء كان مرفوعًا والصندوق رطب بعض الشيء. فقالت للخادمة "لقد تذكرت الآن.. وضعتِها في عجالة وأظن أنه قد سُكِبَ بعضها في الداخل".

جلست ديانا على السرير تفكر "هذا يعني أن باربرا هي من وضعت يدها داخل الصندوق".

ومن ثم تذكرت ديانا وجود بعض الخطابات الموضوعة في الخزينة، والتي لا ترغب في أن يراها أحد! فهرعت لتفحصهم سريعًا، واطمأنت حين وجدتها في أماكنها لكنها اشتمت رائحة عطرها تفوح منها أيضًا.

حملت ديانا الخطابات إلى المدفأة ثم قامت بحرقها جميعًا، وأثناء مشاهدتها للخطابات وهي تحترق اشتمت رائحة العطر تفوح بشدة.

وأردفت: "باربرا ماي هي السارقة إذًا".

الفصل الثامن

جلس جاك مع اللورد ويديكومب وديانا في الحديقة بعد الظهيرة بينما ذهبت باربرا ماي إلى غرفتها لتنتهي من إعداد حقائبها، ولاحظ كل من السيد ويديكومب وجاك دانتون أن ديانا صامتة للغاية ولا تتحدث كعادتها.

سألها جاك: "أنا لا أفهم كيف دخل اللص إلى غرفتك وفتح الباب دون أن تشعري به وأنتِ نائمة؟".

هزت ديانا رأسها: "لا أدري.. إنني أفيق بسهولة كبيرة من النوم في واقع الأمر"، ثم أضافت: "ربما السبب وراء نومي العميق هكذا الشيكولاتة التي أعدَّتها باربرا من أجلي".

سأل جاك في لهفة: "ماذا تعنين؟"

قالت ديانا "حدثت مشاجرة صغيرة بيننا، وأرادت باربرا أن تعتذر عن وقاحتها معي فأعدَّت كوبًا من الشيكولاتة ثم أرسلته لي".

- "ماذا حدث بعد ذلك؟"

- "لا أملك أدنى فكرة، شعرت برغبة شديدة في النوم وغطت في نوم عميق، سقطت مثل جزع الشجرة ثم استيقظت تقريبًا في وقت الغداء".

عاد جاك إلى المدينة بصحبة باربرا ماي وكان قليل الحديث أثناء الطريق، على عكس باربرا التي بدت مرحة لدرجة غير عادية. طلب جاك سيارة أجرة من أجل باربرا ثم ذهب إلى منزله وراح يبدل ملابسه.

وبعد نصف ساعة تقريبًا، أخذ الترام المتجه إلى الجنوب وأخذ يفكر فيما ستؤول إليه نتيجة هذه التحقيقات التي يقدم على القيام بها.

سأل جاك السائق عن المكان الذي يريده فأجابه السائق: "طريق بيرد إن بوش؟ نعم يا سيدي إنه بالقرب من الجسر، طريق كينت القديم، سأريك إياه عندما نصل إلى هناك.

كان طريق "بيرد إن بوش" تشغله المنازل الفخمة، وقاطنو الشارع من الطبقة الوسطى. فيما كان جاك يبحث عن المنزل الذي يريده؛ منزل 903.

وجد المنزل عند زاوية الشارع وكان مصنوعًا من الجص الأصفر وتحيطه بعض الأعمدة. بدا المنزل مثل القبر على الطراز المصري.

لم يذهب جاك مباشرةً إلى المنزل، بل أخذ يتجول لبعض الوقت في الاتجاه المقابل له، حيث لاحظ جاك أن المنزل يبدو مهجورًا ولا يقطنه أحد؛ حديقته مهملة ومليئة بالعشب، ولم تحظَ النوافذ بأي اهتمام منذ شهر ويكسوها الرماد.

ظل جاك يحوم حول المنزل حتى هبط الظلام، حينها جاءت سيارة أجرة تسير سريعًا على الطريق. وتوقفت على بعد مسافة صغيرة من المنزل وترجلت منها فتاة، كانت الفتاة التي يحبها جاك؛ كانت باربرا ماي!

انتفض جاك عند رؤيته لباربرا وأخذ يتتبعها بعينيه. سارت بلا تردد في اتجاه الباب الأمامي للمنزل، طرقت الباب ففتح الباب سريعًا. لاحظ جاك أن هناك من ينتظرها في الداخل. فاقترب من منزل 903، ووقف موازيًا للحديقة حيث

استطاع أن يرى الجزء الخلفي فقط من المنزل. لكن الرؤية لم تكن كافية بالنسبة له. وأراد جاك أن يلحق باربرا لكنه قرر التمهل قليلا لمراقبة الوضع من مسافة بعيدة، فهو يريد أن يعرف أولًا من يسكن هذا المنزل.

دلفت الفتاة إلى داخل المنزل واختفت عن نظره، أخذ جاك يقترب من الحديقة متجهًا نحو باب المنزل وقام بطرق الباب.

في البداية لم يتلقَ أي رد فشرع في طرق الباب مرة أخرى. حتى سمع جاك صوت خطوات هادئة تقترب ثم صوت سلسلة المفاتيح، فُتِح الباب قليلا وظهر رجل هندي مثير للشكوك.

فقال جاك: "هل يعيش السيد سينج هنا؟"

فأجابه الرجل الهندي بلغة إنجليزية ممتازة:

"نعم يا سيدي.. لكنه مشغول الآن"

- "أريد أن أقابله"

- "سوف أخبره يا سيدي"

حاول الرجل الهندي أن يغلق الباب لكن قدم جاك حالت دون حدوث ذلك.

فقال الرجل الهندي في غضب: "لا يمكنك الدخول هكذا، سوف أخبر السيد سينج أولا، وعليك الانتظار بالخارج".

وهنا دفع جاك الباب ثم قال في ثورة عارمة: "سوف أنتظر هنا.. بالداخل".

وبمجرد أن وطأت قدما جاك المنزل، فتح باب في آخر الردهة وظهر رجل على مرمى البصر. كان

الرجل على عكس ما توقع جاك؛ إنه رجل هندي لكن في حقيقة الأمر يبدو مثل رجل أوروبي قوي البنية، ويرتدي ملابس فخمة.

وجه الرجل حديثه إلى جاك: "ماذا تريد؟"

- "أريد أن أقابل السيد سينج"

قال الرجل في حزم: "لا يمكنك رؤيته"

- "أؤكد لك أنني سأقابله الآن"

ضحك الرجل "لا أظن أنه عليك المحاولة يا سيد دانتون"

تعجب جاك ثم قال: "هل تعرفني؟"

"بالطبع أعرفك جيدًا.. أنت المحقق جاك دانتون

من شرطة سكوتلاند يارد. أؤكد لك أن السيد سينج لا يستطيع مقابلتك لأنه مريض جدًا، فهو لا يقدر على تحمل هذا المناخ الإنجليزي قارس البرودة. لدي أوامر مشددة أن أعمل على راحته التامة، وتحت أي ظرف لا يحق لك اقتحام المنزل وأنت لا تمتلك إذنًا بالتفتيش".

أدرك جاك أن ما يقوله الرجل صحيح مما جعله يشعر بالحماقة البالغة، فقال له: "لا يتطلب الأمر مذكرة تفتيش، أنا فقط أود أن أسأل بعض الأسئلة".

فأجابه: "لا يمكنك الحصول على إجابات عن هذه الأسئلة حتى يستعيد السيد سينج صحته".

وهنا أدرك جاك أن المغامرة قد انتهت بلا فائد، فقرر العودة إلى الشارع مجددًا ليستقل عربة الترام المتجهة إلى منزله.

حين وصل جاك إلى منزله جالت بخاطره قصة اللورد ويديكومب عن جوهرة كالي، الأمر الذي جعله يتذكر الهند من جديد. وسرح بخياله لوهلة.. هل يوجد أية صلة تربط بين جوهرة كالي وباربرا؟ لكنه سرعان ما تراجع عن هذه الفكرة السخيفة. ربما لو كانت جوهرة كالي موجودة في إنجلترا، لفهم السبب وراء أفعال باربرا ماي الغريبة وتعاونها مع هذا الرجل الهندي سينج.

حاول جاك طوال تلك الليلة أن يتوصل إلى التفسير المنطقي والمعقول الذي يثبت براءة باربرا ماي من أية اتهامات محتملة. حتى خلد إلى النوم في نهاية المطاف وهو يشعر باليأس وينتابه الصداع الشديد.

الفصل التاسع

ذهب جاك إلى المقر الرئيس في الصباح لمقابلة كبير المفوضين، الذي مرر له خطابًا مكتوبًا على ورقة رمادية اللون.

ثم قال له: "اقرأ هذا"

تناول جاك الخطاب وبدأ في قرائته:

سيدي العزيز

أعتقد أنه يجب أن أحيطك علمًا أن المحقق جاك دانتون يتعاون مع لص المجوهرات، الذي قام مؤخرًا بسرقة البروش الألماس الخاص بالآنسة ديانا. إن المحقق جاك لا يتعاون مع السارقة فحسب، بل إنه في حقيقة الأمر يحبها

بجنون.

إن سارقة المجوهرات فتاة تُدعَى باربرا ماي، كانت من ضمن المدعوين في حفلة السيدة ويديكومب الليلة، التي اختفى فيها البروش. بالإضافة إلى أنها كانت أيضًا من ضمن المدعوين في كل الحفلات التي فقد فيها البروش الألماس سابقًا.

المخلص لكم

فاعل خير

وما إن انتهى جاك حتى قال كبير المفوضين: "استلمت هذا الخطاب اليوم عن طريق البريد"، ثم تابع حديثه "ما رأيك فيما ذكر في الخطاب يا جاك؟".

احمرت وجنتا جاك ثم قال: "إنه خطاب كارثي".

- "أعلم هذا.. إنه خطاب بشع بكل تأكيد، لكن هل سبق لك أن قابلت الآنسة باربرا ماي؟"

- "نعم.. بالتأكيد، فأنا أعرفها بشكل جيد، وما كتِب هنا في هذا الخطاب مجرد اتهامات مشينة".

فسأله كبير المفوضين: "ماذا تقصد بالاتهامات المشينة؟ ما الشيء الذي يزعجك في افتراض أنك تقع في حب باربرا ماي؟".

قال جاك في غضب: "الأمر كله يعد نوعًا من الدناءة".

- "أنت مُحق.. لهذا يجب عليك أن تجد كاتب

هذه الخطابات بأقصى سرعة. وبالمناسبة لقد تلقيت مكالمة تليفونية من الآنسة ديانا اليوم. أرادت أن تقرأ لي القصيدة الشعرية التي ألفتها بنفسها، وقد سردت في قصيدتها قصة سرقة المجوهرات".

قام جاك بفحص الخطاب من جديد، ولاحظ أن كاتبه شخص مثقف للغاية على الرغم من محاولاته لإخفاء هويته.

بينما تابع كبير المفوضين حديثه: "لقد كنت موجودًا في منزل عائلة ويديكومب وقت السرقة، صحيح؟ هل عثرت على أي دليل يساعدنا في معرفة السارق؟".

هز جاك رأسه بالنفي: "لا يا سيدي".

كان جاك يكذب، وحاول إخفاء وجهه حتى لا

يكشفه رئيسه في العمل،، الذي استكمل: "على أية حال هذا ليس عملك. علينا أن نعمل على الحفاظ على سرية هذه الأخبار وألا تنتشر في العلن أبدًا".

يعلم جاك جيدًا أنه غير مكلف بهذا العمل، لكنه يرغب بشدة في معرفة سارق المجوهرات الحقيقي، الذي لم يستطع أحد التعرف على هويته إلى الآن حتى كبير المفوضين نفسه.

وبعد وقت قليل توجه جاك مباشرة إلى متجر ستريتلاي بائع المجوهرات. وتم استقباله في مكتب مالك المحل؛ رجل كبير السن ومتقلب المزاج.

قابله الرجل مقابلة فاترة. ومن ثم قال جاك: "أنت تدرك جيدًا يا سيد ستريتلاي أنني غير مكلف رسميًا بهذا العمل. كل ما في الأمر أن لدي

رغبة شخصية في التعرف على هوية السارق. تعرف أن السيد ويديكومب صديق شخصي لي وأنا أعرف الآنسة ديانا بشكل جيد أيضًا؛ لقد فقدت البروش الخاص بها مؤخرًا، والخبر الشائع بين الناس أن كل المجوهرات التي سرقت تم شراؤها من متجرك خلال الستة أشهر الماضية".

أومأ السيد ستريتلاي: "نعم أنت محق.. فنحن نمتلك أكبر شركة لبيع وشراء قطع الألماس، وأؤكد لك أننا لدينا مجموعة من أفضل الأحجار الكريمة في أوروبا".

- "هل تعتقد أن السبب وراء سرقة هذه المجوهرات يرجع إلى أن هناك من يحمل ضغينة تجاه متجرك؟".

فضحك ستاريتلاي العجوز ثم قال: "لا أظن ذلك، فإذا رغب أحدهم في الانتقام مني، سيسرق

المجوهرات من المتجر وليس بعد بيعها".

- "إذًا.. فأنت لا تمتلك أي تفسير".

قال السيد ستريتلاي باديًا عليه الراحة لوشوك انتهاء هذه المقابلة: "لا، لا أملك أدنى فكرة".

وأثناء خروج جاك من المتجر الكبير أخذ يبحث في البناية حوله عن الرجل المدعى سميث، الذي قال عنه كبير المفوضين أنه أحد مديري ستاريتلاي. لكنه لم يستطع العثور على أي أثر له، وشعر بعدم الرضا إذ لم يتمكن من الوصول إلى أي شيء مهم.

ومن ثم تذكر جاك صديقه "السيد بردلي"، الذي كان رجلًا ثريًا للغاية ويعمل سمسارًا في البورصة.

كان السيد بردلي قد أخبر جاك منذ فترة قليلة

أنه ابتاع بروشًا من متجر ستاريتلاي لزوجته منذ شهر أو شهرين على الأكثر. لذلك ظن جاك أن زوجة صديقه ربما تكون الضحية القادمة للسارق. فقام بإجراء مكالمة تليفونية لمكتب صديقة السيد بردلي، لكنه لم يجده هناك. ثم أجرى مكالمة ثانية لمنزل صديقه، وفي هذه المرة نجح في الوصول إليه إذ كان "السيد بردلي" في منزله في "بارك لاين"، فذهب إليه جاك على الفور.

قابله السيد بردلي بسعادة غامرة بقوله: "تفضل بالدخول يا دانتون. ذهبت زوجتي إلى المدينة، وأنا مريض للغاية اليوم، وأشعر بالملل الشديد من البقاء بمفردي في المنزل، تفضل".

ابتسم جاك: "أعتقد أن زيارتي ستسبب لك الكثير من الملل"، ثم أردف: "هل تتذكر عندما أخبرتني بأنك ابتعت بروشًا ألماس لزوجتك من

متجر ستريتلاي؟".

- "نعم هذا صحيح.. اشتريت اثنين؛ واحد من أجل زوجتي والآخر من أجل أختي، أعطيته لها هدية زواجها. وأؤكد لك أنها المرة الأخيرة التي سأتعامل فيها مع هذا المتجر".

- "لماذا؟"

- "لم أسترح في التعامل معهم، بعد قرابة الشهر من شراء البروش جاء إلينا رجل من المتجر يطلب استرجاع البروش لإجراء بعد التعديلات؛ لأنه على حد قوله به عيب في الصناعة، وكنت قد تحققت من البروش جيدًا وشعرت أنه لا يوجد به أي عيب بالمرة، حتى أن كلاً من أختي وزوجتي رفضتا إعادته إليهم بشدة في البداية".

- "هل طلبوا البروش من أختك أيضًا؟"

أجاب بردلي: "نعم هل تصدق ذلك؟ على أية حال فقد وافقنا على طلبهم في النهاية وأرسلنا البروش، واحتفظوا به لديهم ما يقرب من الشهر، وبعد ذلك تم إرساله إلينا. لم نرَ أية تعديلات أو إضافات على البروش، كان هو نفسه دون أي اختلافات وفعلوا الشيء ذاته مع صديق شخصي لي".

قال جاك في دهشة: "ياللعجب! طلبوا استعادة البروش من صديقك أيضًا؟!"، ثم سأله: "هل لديك أدنى فكرة عن عدد المجوهرات التي يبيعها ستريتلاي في العام ؟".

- "المئات على ما أظن، فهو أكبر متجر للمجوهرات في لندن. مالكو المتجر يتمتعون بالأمانة الشديدة ولا يسعون وراء العائد المبالغ فيه؛ لذلك هم الأفضل في لندن.. لكن ما السر وراء

اهتمامك بهم هكذا؟".

- "سأخبرك بكل شيء، فقط أريدك أن تعرف أن هذه المعلومات سرية للغاية، ولم تنشر في العلن بعد".

وقام جاك بسرد كل القصص الغامضة لسرقات البروشات على صديقه، التي تم شراؤها كلها من متجر ستاريتلاي محذرًا إياه. لكنه طمأنه قائلا: "حسنًا أنا لا أشعر بالقلق! لا يستطيع أي شخص أن يطال البروش الخاص بي، لقد احتفظت به في خزينة البنك، لكن أظن أنه عليّ أن أحذر أختي".

الفصل العاشر

نشرت صحيفة "ذا ديلي تليفون" جانبًا من الأخبار التي صارت تهم عددًا كبيرًا من الناس في غضون الأحداث الأخيرة، وجاء المقال على النحو التالي:

"صار معروفًا لكثير من أفراد المجتمع الآن أنه قد عمت الفوضى في البلاد بسبب مرسل الخطابات مجهول الهوية، الذي يفضح أسرار الأفراد ويطلق على نفسه اسم فاعل خير، كان سر ذلك الصديق محفوظا حتى قبل بضعة أيام.. لكن أمره قد اكتشف وعرف بعض الأشخاص عن هذه الخطابات، التي تحمل الكثير من الأسرار الخطيرة، وترسل حتى الآن منذ مدة تقترب من عام كامل، كما لم يسلم أحد من الاتهامات الخبيثة

التي جاءت في خطابات هذا الشخص الحقير.

ترتب على هذه الخطابات فُرقَة بين الأزواج وتشريد أفراد الأسرة الواحدة، ووقعت على الأقل حادثة انتحار خلال هذه الفترة. وما يدعو للغضب أنه من الواضح أن كاتب الخطابات نفسه ينتمي إلى أفراد المجتمع، وعلى علاقة صداقة وطيدة مع ضحاياه، وبالتالي تفعل الشرطة كل ما بوسعها لتقديم هذا الشخص البغيض للعدالة".

كان "ميسون" الكاتب الصحفي اللامع في جريدة "ذا ديلي تليفون"، إحدى أكبر الجرائد في المدينة، قد توصل إلى بعض المعلومات المثيرة للانتباه كثيرًا، وذهب على إثرها إلى مكتب رئيس التحرير بالجريدة، ودلف إلى داخل المكتب وأغلق الباب وراءه في هدوء. فنظر إليه رئيس التحرير متسائلًا عن سبب الزيارة.

فقال ميسون: "توصلت إلى قصة جديدة للغاية، عرفتها عن طريق المصادفة.. هل سمعت من قبل عن سرقات المجوهرات المتتابعة، التي حدثت الفترة الماضية منذ ثلاثة أشهر على ما أظن، وتبلغ قيمة المبالغ المفقودة ما يقرب من ثمانية آلاف من الجنيهات؟".

فأجابه: "لم أسمع عنها بالمرة، ولم تصلنا أية تقارير من الشرطة".

- "أعرف ذلك، ولسبب ما تم الإبقاء على الأمر في سرية تامة، وأكاد أجزم أن ضحايا هذه السرقات يشتبهون في أحد أصدقائهم".

فسأل رئيس التحرير: "هل نشرت الشرطة مواصفات المجوهرات المسروقة؟"

هز ميسون رأسه بالنفي، وقال: "عرفت كل هذه

المعلومات من أحد الصحفيين، الذي كان يجري بعض الاستفسارات حول منزل الويديكومب، أخبره أحد الخدم وتوسل إليه ألا يفشي السر إلى أي شخص كان. على ما يبدو أنهم أقسموا على السرية التامة".

فجلس رئيس التحرير في مقعده وأخذ يفكر في الأمر: "هذا أمر غريب، تبدو قصة جيدة لكن هل تمتلك تفاصيل السرقات؟".

- "نعم حصلت بالفعل على تفاصيل ثلاث سرقات، فقد أرسلت بعض المراسلين ليتقصوا عن الأمر. كل ما أريده الآن أن أحصل على تأكيد رسمي من أي مكان. ستكون حتمًا قصة عظيمة".

عاد ميسون إلى مكتبه بعد فترة قليلة، وقد استطاع عن طريق مصادره التوصل إلى الكثير من الحقائق حول قصته الواعدة، لكنه وقع في

حيرة شديدة حول شرطة سكوتلاند يارد، أخذ يفكر.. هل تعرف سكوتلاند يارد بأمر السرقة أم لا؟ وهل يفضلون الحفاظ على سرية الأمر؟

لم ينتظر ميسون الكثير من شرطة سكوتلاند يارد، فعادة ما ترفض نشر أية أخبار عن الجرائم أثناء التحقيقات.. لذلك اعتمد كليًا على المراسلين الذين بعثهم في كل الأماكن المتعلقة بحوادث السرقة ليجمعوا له الأخبار، وفي تمام الساعة السادسة مساءً كان قد أنهى كل شيء وتوصل إلى الشكل النهائي لقصته، وقام بعرضها على رئيس التحرير، الذي قال له: "ستكون قصة عظيمة بكل تأكيد".

- "أنا متأكد من ذلك.. حقيقة أن سكوتلاند يارد لم تصدر أي تحذير للعامة، والسرية التي تغلف السرقات تجعل الأمر أكبر مما توقعت في

البداية".

ذهب رئيس التحرير لتناول العشاء في النادي في مساء ذلك اليوم. وفي تلك الأثناء رأى جاك دانتون يتجول وحيدًا في اتجاه غرفة المدخنين. فتوجه إلى جاك بحديثه: "أنت الرجل الوحيد الذي أرغب في رؤيته الآن."

فقال له: "يا إلهي.. رجاء لا تسألني عن هوية مرسل الخطابات".

قال رئيس التحرير: "لا، أريد أن أسألك عما هو أكثر أهمية. حصلنا على بعض المعلومات الخطيرة اليوم في الجريدة وأردت أن تعطيني تأكيدًا على صحتها قبل نشرها".

لم يكن رئيس التحرير يقول الحقيقة الكاملة، فقد قرر نشر الخبر حتى لو لم يحصل على تأكيد

من المكتب الرئيس، فالحقائق التي توصل إليها كافية بالنسبة له، لكنه نظر إلى جاك ثم قال: "هل قصة سرقة المجوهرات حقيقية؟".

دهش جاك من سؤال رئيس التحرير وتذكر كلمات كبير المفوضين له بعدم إخبار أحد عن قصة السرقات مهما كلف الأمر، فحاول أن يخفي معرفته بشأن السرقات قائلا: "سرقة المجوهرات.. أي سرقة تلك التي تتحدث عنها.. هل تقصد تحطيم متجر كارتر في شارع ريجينت؟".

فأجابه الرجل: "أنت تعلم جيدًا أنني لا أقصد ذلك. أنا أعني السرقات غير الاعتيادية التي حدثت في بعض المنازل الفترة الماضية، وأن السارق هو أحد المدعوين في المنزل".

قال جاك في سخرية: "لم أسمع عنها بالمرة..

أنتم رائعون يا رجال الصحافة، تستطيعون التوصل إلى الأخبار حول السرقات التي لم تسمع عنها سكوتلاند يارد. أظن أنكم من تفعلون مثل هذه الجرائم لتنشروا أخبارها".

كان رئيس التحرير صديقًا قديمًا لجاك، وبالطبع يعرف الأصدقاء بعضهم البعض جيدًا؛ لذلك استطاع أن يكشف محاولات جاك لنفي الخبر بسهولة، وقال له: "أنا أراهنك على أي شيء أنك تكذب. كل محاولاتك لتكذيب الخبر تبدو زائفة.. سوف أنشر هذا الخبر في كل الأحوال".

فأجابه جاك: "لك مطلق الحرية يا صديقي العزيز، لكن لا تتوقع مني أن أقرأه. على أية حال أن لا أقرأ جريدتك أبدًا".

أنهى رئيس التحرير قهوته ثم عاد إلى مكتبه على الفور، وأسرع في طلب ميسون ليأتي إليه

كي يسأله: "هل لديك أية معلومات جديدة عن السرقات؟".

فقال له الصحفي: "نعم.. لقد حصلت على المعلومات الكافية لنكتب قصة عظيمة. السيدة كروساندرز فقدت البروش الألماسي الخاص بها منذ أسبوع تقريبًا، وبعد عدة أيام فقدت ديانا الجميلة بروشًا آخر في ظروف مماثلة تمامًا. سوف أمضي قدمًا وأبدأ في كتابة الموضوع".

وبالفعل قام ميسون بالمضي قدمًا في قصته وكتب ما يقرب من صفحتين واختار لها بعض العناوين اللافتة:

السرقة الغامضة للمجتمع

اللص الذي يسرق البروشات الألماسية

من اللص؟

أعد "ميسون" قصة رائعة ومتقنة، فيما صار كل شيء جاهزًا حتى تفجر جريدة "ذا ديلي تليفون" مفاجأتها الكبرى، ولم يتبق سوى طباعة الجريدة.

وفي الوقت المناسب وصل إلى مقر الجريدة اثنان من ضباط الشرطة، كان أحدهم كبير المفوضين بنفسه. وذهبا كلاهما مباشرةً إلى مكتب رئيس التحرير.

ومن ثم قال كبير المفوضين مخاطبًا رئيس التحرير: "سمعنا أن لديك قصة كبيرة الليلة، قصة سرقة المجوهرات العظيمة".

فابتسم رئيس التحرير: "هذا صحيح، هل أتيت لإعطائنا المزيد من المعلومات؟".

جلس كبير المفوضين على الجانب الآخر من مكتب رئيس التحرير ثم قال: "لا أنا جئت فقط لأخبرك أنك لن تنشر هذا الخبر".

- "لما لا؟"

- "هناك العديد من الأسباب، من ضمنها مصلحة العدالة، وهو الشيء الذي لطالما أخبرتك به، وأؤكد عليه الآن مرة أخرى".

قال رئيس التحرير: "لا أجد أي سبب واضح يمنعني من نشر الخبر".

أخرج كبير المفوضين خطابًا من جيبه ثم أعطاه إلى رئيس التحرير وهو يقول: "أكره أن أذكرك بهذا، لكن تعرف جيدًا أن بعض القوانين من الممكن أن تمنعك من فعل أي شيء. تفضّل هذا

أمر بعدم النشر".

وهكذا تم منع قصة سرقة المجوهرات من النشر والخروج للعامة.

لم تكن هذه فقط الواقعة الوحيدة الغريبة التي تتعلق بالسرقة، فقد أقدمت ديانا على إرسال خطاب عبر البريد إلى صديقتها في مدينة "كان". وكتبت خطابًا طويلا توصف فيه ملابسات حادث السرقة بعد يوم واحد من الحادث.. لكن ما يدعو للاستغراب أنه تم إعادة الخطاب إلى ديانا مرة أخرى مكتوبًا عليه هذه الجملة باللون الأحمر:

لا يمكن إرسال هذا الخطاب.

غضبت ديانا كثيرًا، وأجرت على الفور مكالمة تليفونية لتتواصل مع أحد المسؤولين متسائلة

عن معنى هذا الحدث العجيب. فقال المسؤول: "أعتذر لكِ بشدة يا آنسة ديانا، لكنني قد أمرت بنفسي بعدم إرسال هذا الخطاب إلى أي مكان".

تساءلت ديانا: "لكن لماذا؟"

- "جاءتنا أوامر مشددة من الشرطة بعدم إرسال أية معلومات عن السرقة عبر البريد، أنتِ تعرفين جيدًا أن الشرطة تعمل جاهدة للقبض على السارق، وكلما حافظنا على السرية الشديدة كان التعرف على السارق أسهل".

فأغلقت ديانا الهاتف وهي في دهشة شديدة مما يحدث.

الفصل الحادي عشر

داوم جاك على الذهاب إلى صفوف الفرسان كل صباح رغبة منه في رؤية باربرا، لكن لسوء الحظ لم تظهر قط، وشعر جاك بالحماقة الشديدة تجاه ما يفعله، فهو لا يستطيع الابتعاد عنها وها هو لم يرها بالفعل لثلاثة أو أربعة أيام حتى الآن.

كان يدرك أن عليه أن يراها ويحادثها ويبوح لها عما بداخله، عليه أن يمحي الشكوك التي تثار حولها أو على الأقل مساعدتها في تجنب النتائج المترتبة على أفعالها المجنونة، فهو على يقين تام أنها ضحية لخداع الآخرين.

اتخذ جاك قراره بالذهاب إليها ومقابلتها وجهًا لوجه في شقتها الواقعة في قصور "ويزر هيل" بفيكتوريا. وفي البداية فكر أن يتصل بها

تليفونيًا، لكنه اتخذ قراره بعدم إخبارها بأمر تلك الزيارة فمن المحتمل أن ترفض رؤيته.

دلف جاك إلى داخل البناية التي تقع فيها شقة باربرا ثم وقف بجانب المصعد، كان المصعد يهبط إلى الأسفل وبداخله رجلان؛ الرجل الأول هو الرجل الذي رآه جاك في منزل 903 بشارع بيرد إن بوش. أما الأخر فهو الرجل الذي يدعى سميث، الذي تم وصفه على أنه أحد رؤساء ستريتلاي بائع المجوهرات.

تحدثا الرجلان سويًا بصوت منخفض، ولم يلحظ أي منهما وجود جاك حتى سارا بعيدًا واختفيا عن مرمى نظره.

عاد جاك إلى حيرته، هو يدرك تمامًا أنه لا يحق له التدخل في حياة باربرا أكثر من ذلك، ويجب عليه أن يكف عن البحث عن أسرار جريمة

السرقة، فهو غير مكلف بهذا العمل، لكنه أراد بشدة أن يفهم ما يجري حوله وعليه أن يجد حلا لهذا اللغز الغامض.

وفي شقة باربرا تم استقبال جاك بواسطة خادمة أنيقة. اصطحبته إلى غرفة الاستقبال حيث انتظر باربرا. وبعد عدة دقائق أتت إليه باربرا ماي.

قالت باربرا مخاطبة جاك: "ما هذه المفاجأة الجميلة يا سيد دانتون.. أنا سعيدة جدًا بزيارتك لي اليوم". ثم سألت: "هل هناك أي شيء خطير؟".

قال جاك: "نعم، هناك شيء خطير جدًا. عندما جئت إلى هنا رأيت رجلين يستقلون المصعد.. هل هم أصدقاؤك؟".

فأجابته: "لا أعرف تحديدًا ماذا تقصد، لكن بالفعل زارني اليوم رجلان في زيارة عمل".

قال جاك بكل بوضوح: "أشير إلى الرجل المدعو سميث والرجل الآخر الذي يعيش في شارع بيرد إن بوش".

صمتت الفتاة لوهلة وبات القلق واضحًا عليها، ثم تابعت حديثها: "تبدو غامضًا يا سيد دانتون..هلا أخبرتني ماذا تقصد مباشرةً؟".

- "ما أقصده أنه كلما ذهب هذا اللص الغامض للسرقة في الليل كنتِ أنتِ واحدة من الضيوف في المنزل نفسه.. ما أقصده أيضًا أنكِ أرسلتِ خطابًا عبر البريد ويوجد بداخله صندوق صغير. يتملكني شعور أن هذا الصندوق حمل البروش الخاص بديانا، وقد أرسلتِه إلى منزل في بيرد إن بوش يسكنه رجل هندي".

صمت جاك فجأة لكنه لم يتلقَ أي تفسير من باربرا.

ومن ثم تابع حديثه: "باربرا، لم لا تدعينني أساعدك؟ أنا أعرف أنكِ ذهبتِ إلى ذلك المنزل؛ منزل 903 في اليوم الذي تلا عودتك من شروبشاير. أشعر بالقلق يكاد يقضي عليَّ بسبب الوضع بأكمله. لم آتِ إلى هنا بصفتي ضابط شرطة، أتيت بصفتي...، بصفتي صديقًا لكِ. أنا على أتم استعداد لمساعدتك حتى لو اضطرني الأمر أن أترك الشرطة، وحتى إن لاحقني العار طوال االعمر".

وضعت باربرا يديها بحنان على وجه جاك: "أنت إنسان جيد يا جاك. لكن على كل حال أظن أنك تهدر وقتك، لا يمكنني قبول تلك التضحيات التي تفعلها من أجلي".

- "لكن هل ستخبرينني بما يحدث يا باربرا.. هل أخذت بروش ديانا؟".

نهضت باربرا فجأة ثم قالت: "لا أستطيع أن أشرح لك الآن.. لا أستطيع أن أتفوه بأية كلمة حتى إن كنت تظن أنني السارقة أو تظن أنني فاعل الخير مرسل الخطابات".

- "أقسم أنكِ لستِ كذلك، أخبريني يا باربرا هل يتم التلاعب بكِ؟ هل هناك من يهددك؟ صارحيني يا باربرا فأنا أريد مساعدتك".

- "لا يمكنك مساعدتي.. عليك فقط أن تثق بي".

صمتت الفتاة لوهلة ثم قالت: "سوف أطلب لك كوبًا من الشاي.. رجاءً لا تسألني عن أي شيء

آخر".

لكن جاك لم يتوقف عن توجيه الأسئلة إليها......

- "هل يتعلق هذا اللغز بجوهرة كالي؟"

- "جوهرة كالي.. أنا لا أفهمك يا جاك.. عليّ الذهاب الآن".

استدارت باربرا سريعًا ثم ذهبت إلى خارج الغرفة، وبعد وقت قليل جاءت الخادمة من جديد ثم قالت: "الآنسة باربرا تعاني من الصداع الشديد وتعتذر عن مقابلتك.. هل ترغب في كوب من الشاي؟".

قال جاك باختصار: "شكرًا لكِ". ثم ذهب إلى خارج المنزل وهو يشعر بالقلق والضيق

الشديدين..هل حقًا باربرا ماي هي السارقة؟!

الفصل الثاني عشر

كانت ديانا وولد تنعم بثروة عظيمة؛ إذ كانت تمتلك منزلا كبيرًا في (كارلتون هاوس) وبعض العقارات في مدينة "نورفولك" وفيلا في مدينة "كان"، بالإضافة إلى قصر صغير على ضفاف بحيرة كومو. في الواقع حادثة السطو تلك أضفت بعض الإثارة على حياتها التي يملؤها الملل، فلم تحزن ديانا على الأموال التي فقدتها نتيجة لسرقة البروش.

ديانا امرأة صارخة الجمال وقد حاول الكثير من الرجال التقرب إليها من قبل لكنها لم تستجب لهم قط. كل الرجال لا يعنون لها شيئًا، فهي لديها اهتمامات أخرى، بل كان يشعر الرجال الذين يعرفونها أنها جامدة كالحجر.

وعلى الرغم من جمالها الصارخ، فإن "جاك دانتون" هو الرجل الوحيد الذي لم يعرها أي انتباه. لم يتودد إليها أو يتغزل فيها ولا لمرة واحدة مثل جميع رجال المجتمع الذين يتحلون بالوسامة، غير أنه لا يتعمد إهمالها، ففي الحقيقة هي لا تمثل له شيئًا.

قابلته أول مرة عندما عمل في الجيش وقبل التحاقه بسكوتلاند يارد، في هذا الوقت كان جاك شابًا صغيرًا وطائشًا ومع ذلك لم يتودد إليها أو يطلب منها أن ترقص معه قط.

كانت ديانا تقول للسيدة ويديكومب وهما في طريقهما إلى المدينة: "أظن أن جاك دانتون يراني كقطعة أثاث قيمة فقط لا أكثر. أود لو يعرف أنني إنسانة من لحم ودم".

قالت السيدة ويديكومب بطريقة مباشرة:

"تقصدين في معنى آخر لا يتودد إليكِ". ثم أضافت: "حسنًا.. أعتقد أنه يعرفكِ جيدًا، وهو بالطبع يوفر على نفسه الكثير من المتاعب التي ستلحقه إذا حاول التقرب منكِ".

فضحكت ديانا: "لا أظن أن جاك سريع التأثر هكذا".

انتظرت ديانا أن تصلها مكالمة تليفونية من جاك دانتون عندما كانت في المدينة، لكنه لم يتصل بها قط، لذلك قررت أن ترسل إليه خطابًا تطلب منه أن يأتي لاحتساء الشاي معها.

وصل جاك إلى منزل ديانا في الموعد المحدد تمامًا لكنه ظل صامتًا طوال الوقت. شعرت ديانا أن جاك لا رغبة له في البقاء معها وأنه قد أتى إلى هنا فقط ليلبي دعوتها، الأمر الذي أزعجها كثيرًا، حتى قالت له بغضب بعد مرور بعض الوقت:

"جاك.. ينتظر المرء منك أن تتحدث معه. أعتقد أنك تدرك كيف تدير حوارًا مهذبًا".

فوجئ جاك من كلامها: "أعتذر إن لم أتحدث كثيرًا".

- توقعت أن لديكَ الكثير من القصص الممتعة لتخبرني بها.. أخبرني عن جرائم القتل والمجرمين وسرقات البنوك... كل هذه الأشياء التي تعرفها".

ذهل جاك من كلامها لكنها تابعت بلا توقف: "هل تفترض أننى لا أعرف ما مهنتك يا جاك؟ نعلم جميعًا أنك رجل شرطة. لهذا إنه لمن الرائع أن نعرف شخصًا مثلك".

- "أنا آسف أنني لا أستطيع أن أخبرك عن الأسرار الرهيبة التي كشفتها، في الواقع.. أنا لم

أكشفها بعد. إن عمل الشرطة عمل ممل وتلك الاشياء المثيرة تحدث على فترات متباعدة جدًا".

ثم سألته فجأة: "إذًا.. لماذا لم تتزوج حتى الآن؟"

- "أتزوج.. أنا.. عزيزتي الآنسة ديانا.."

- "من فضلك لا تدعوني الآنسة ديانا، سوف أشعر بالحرج وأنا أدعوك جاك باسمك دون ألقاب".

- "لا داعي للحرج يا ديانا.. لا أعرف في الحقيقة لماذا لم أتزوج بعد، لكن واحدًا من ضمن الأسباب أنني رجل فقير ولا أستطيع تحمل نفقات زوجة. والسبب الثاني..".

قاطعته ديانا: "وما السبب الثاني؟".

- "لا توجد من تريد الزواج مني".

- "ماذا عنك أنت.. هل هناك من تريد الزواج بها؟"

- "لا"

- "لا أظن أن الأموال ممكن أن تكون عائقًا أمامك.. لم لا تتزوج فتاة ثرية.. هناك الكثير من الفتيات الأثرياء حولك".

وهنا ابتسم جاك قائلا: "لكنني لا أحب أي واحدة منهم. وعلى أية حال لا أستطيع الزواج من فتاة فقط لأنها ثرية.. لا أستطيع تحمل مثل هذه الحياة".

- "لا أرى ما يمنع ذلك. تخيل أنك كنت غنيًا وطلبت الزواج من فتاة فقيرة.. هل كانت سترفض طلبك؟ بالطبع لا.. عليك الزواج من فتاة غنية، سيمنحك هذا السلطة والمظهر الاجتماعي".

- "لا أتفق معك.. أنا لا أقبل ذلك على نفسي بالمرة".

في حقيقة الأمر لم تكن ترغب ديانا بالزواج من جاك ولا من أي رجل آخر، هي فقط أرادت أن تحمل جاك على طلب الزواج منها لتتفاخر برغبته في الارتباط بها مثله مثل الآخرين، لكنه أصر على عناده؛ الأمر الذي يزعجها كثيرًا من جاك.

قالت ديانا: "هل تحب باربرا ماي؟"

فأجاب جاك: "أتعرفين أن ذلك المدعو "فاعل

خير" يعتقد مثلك تمامًا أنني أحب باربرا، وهذا ما أرسله إلى كبير المفوضين".

سألت في فضول: "حقًا.. هلا أخبرتني أكثر عن ذلك الشخص؟ هل هو رجل أم هي امرأة؟ وهل يظن حقًا أنك تحب باربرا؟ كم هو شخص ذكي ؟!".

- "لا أعتقد أنه شخص ذكي. هي امرأة شريرة وحقيرة. في يوم من الأيام سوف آخذها بيدي إلى أقرب نقطة شرطة من أجل أن تلقى العقاب المناسب".

تأكدت ديانا من صحة توقعها أن جاك مغرم بباربرا ماي، من حدسها الأنثوي الذي يخبرها أن هناك مشاعر حب بين جاك وباربرا لا يمكن أن يخطئ أبدًا، ومن ثم شعرت بالضيق الشديد فهي تكره باربرا كثيرًا وتعتقد أنها أيضًا تبادلها الشعور

نفسه.

جلست ديانا أمام المرآة بعد أن غادر جاك تفكر في الأمر.. ماذا لو استطاعت الذهاب إلى شقة باربرا ماي والبحث فيها عن الأدلة.. حتما ستجد ما يدينها، وفي هذه الحالة سيضطر جاك أن يلقي القبض على حبيبته!

الفصل الثالث عشر

مع حلول المساء قامت ديانا بإجراء مكالمة هاتفية مع رئيس إحدى وكالات التحقيق الخاصة وحددت معه موعدًا، وفي الوقت المتفق عليه جاء الرجل وتقابلا في مكتبها.

قالت ديانا: "سأكون صريحة تمامًا معك يا "سيد داي"؛ اتصلت بك اليوم من أجل بعض الشكوك التي تراودني حول إحدى الفتيات، وهي صديقة لي، أشك لدرجة كبيرة أن تلك الفتاة هي الشخص الذي يرسل الخطابات تحت عنوان فاعل خير".

سأل داي في ذهول: "كاتب الخطابات غير المعروف؟"

فأومأت ديانا: "لا أريد أن أقحم الشرطة الآن. فهي صديقتي كما قلت لك وأخشى أن تصاب بالأذى". ثم تابعت: "كم يكره المرء أن تواجه فتاة شابة إجراءات المحاكمة تلك. لكن في الوقت نفسه أردت أن أتأكد من صحة شكوكي، لذلك أرغب في تفتيش شقتها أثناء وجودها بالخارج هي وخادمتها".

- "هذا خطير للغاية يا آنسة وقد يتعارض مع تحقيقات الشرطة. لا أفضل فعل ذلك على الإطلاق. كما تعرفين أنني عملت رقيب شرطة من قبل، وأعرف مدى خطورة الأمر الذي تطلبينه".

قالت ديانا: "سوف أعوضك عن أي مخاطر قد تتعرض لها، وسأوفر لك أي مبلغ تريده. بالمناسبة أنا لا أطلب منك أن تساعدني في البحث، فقط أريدك أن توفر لي مفتاح الشقة".

- "في هذه الحالة أنا على أتم استعداد لمساعدتك، لكنني لا أستطيع أن أعطيك المفتاح مباشرة، سوف أتركه لكِ في أي وقت وستجدينه في منزلك. سوف أساعدك أيضًا في معرفة متى تخرج الآنسة وخادمتها".

- "هذا كل ما أطلبه منك".

ثم أخرجت دفتر الشيكات من درج المكتب وقالت: "تفضل هذا شيك تحت الحساب يا سيد داي".

وبعد ثلاثة أيام ذهب السيد داي إلى منزل ديانا وترك مفتاح الشقة على طاولة دون أن يذكر أي شيء بخصوص باربرا. وبعد رحيله وجدت ديانا المفتاح ثم وضعته في حقيبتها بسعادة. وفي اليوم التالي تلقت مكالمة هاتفية، جاء صوت المتحدث كالتالي:

"الشخص الذي تهتمين به ذهب إلى (سينينج ديل)، سيبقى هناك مع السيدة (ميرسثام) لبعض الوقت، برفقة الخادمة".

فشكرته ديانا وقامت على الفور بجمع كل المفاتيح التي لديها في المنزل وأخذتها معها لعلها تحتاجها أثناء البحث. ذهبت إلى المنطقة السكنية التي تقع فيها شقة باربرا، ووصلت إلى المبنى المراد. فضلت أن تصعد عبر الدرج حتى لا يراها عامل المصعد. وبالفعل وصلت إلى شقة باربرا.. تسارعت دقات قلبها من الخوف، لكنها أقدمت على فتح الباب وتسللت إلى الداخل في هدوء.

تنقلت ديانا من غرفة إلى الأخرى، فتحت الأدراج وخزانات الملابس جميعها، لكنها لم تتوصل إلى شيء حتى ذهبت إلى غرفة نوم باربرا، وقامت بالبحث الدقيق في الغرفة.

لم تجد أي شيء ذا فائدة في البداية وشعرت بخيبة أمل، وأوشكت على الرحيل حتى جال بخاطرها أن تبحث أسفل الوسادة، وهناك وجدت ما فاجأها كثيرًا.. وجدت صندوقًا نحاسيًا صغيرًا مغلقًا!

فحملت ديانا الصندوق بين يديين مرتعشتين وذهبت به إلى طاولة أسفل النافذة، وبعد عدة محاولات لفتح الصندوق باستخدام المفاتيح نجحت في ذلك.

وبداخل الصندوق وجدت البروش الخاص بها ومعه جميع البروشات الأخرى المسروقة. وضع على كل واحد لافتة صغيرة يظهر عليها اسم صاحبة البروش.

وباتت ديانا في حيرة من أمرها! فلا يعقل أن

تحمل الصندوق إلى الشرطة وتخبرهم أنها بحثت عنه في شقة باربرا. ومن هنا أدركت ما عليها فعله تمامًا، فأعادت ديانا الصندوق في المكان نفسه، ثم ذهبت مباشرة إلى منزلها وأجرت مكالمة تليفونية لسكوتلاند يارد وطلبت التحدث إلى "جاك دانتون".

وقالت له: "هل يمكنك المجيء إلى هنا الآن.. أريدك في أمر خطير جدًا".

اعتذر لها جاك: "أنا مشغول للغاية"

- "هذا أمر خطير جدًا.. إنه يتعلق بباربرا ماي"

قال جاك: "أنا قادم إليكِ"

قامت ديانا بإعداد طاولة الشاي وجلست في انتظار جاك. وبعد وقت قليل أتى إليها، وقال: "لا

يمكنني الانتظار من أجل الشاي يا ديانا".

قالت ديانا: "اجلس.. سوف تحتسي الشاي معي، أريد أن أخبرك بالكثير ويجب أن أعد المناخ المناسب لذلك. طاولة الشاي هي المناخ المناسب للتحدث عن الفضائح".

جلس جاك على المقعد دون جدال رغبةً منه في معرفة الأخبار التي تحملها ديانا. ناولته ديانا كوبًا من الشاي، وقالت: "أنت رجل شرطة.. هل أنا محقة؟"

- "أعتقد ذلك"

- "أعلم أن كل رجال الشرطة ملتزمون بتأدية عملهم تحت أي ظرف، ويقومون بتأدية القسم الذي ينص على ذلك".

- "ما الفائدة وراء هذا الكلام يا ديانا؟"

- "وصلتني بعض المعلومات عن هوية سارق المجوهرات وأستطيع أن أخبرك عن مكان المجوهرات المسروقة.. إن المجوهرات في شقة باربرا، بالتحديد داخل صندوق نحاسي أسفل وسادتها.. وواجبك أن تأتي بإذن تفتيش للتأكد مما أقول".

سأل جاك: "وأين باربرا الآن؟"

- "لا أعرف.. أنا لا أكترث لأمر باربرا.. لكني أخبرك أن المجوهرات في شقتها. عليك أن تبلغ المسؤولين".

- "سأفعل بكل تأكيد"

ذهب جاك إلى كبير المفوضين وأخبره بالأمر

كله. فأنصت إليه كبير المفوضين دون أن يتفوه بكلمة، وبعد مرور عدة دقائق قال له: "كيف عرفت الآنسة ديانا أن المجوهرات في شقة الآنسة باربارا؟".

- "لا أعرف يا سيدي.. أنا أبلغك فقط بالمعلومات التي وصلتني".

- "حسنًا بما أنك تورطت في هذا الأمر أظن أنه يجب عليك أن تقوم بهذا البحث بنفسك.. سوف أجهز إذن التفتيش من أجلك. بالمناسبة، يمكنك اصطحاب الآنسة ديانا معك لأنها مهتمة بأمر السرقة".

- "هل هذا شيء ضروري؟"

- "بالطبع.. لقد وجهت ديانا الاتهامات ضد باربرا ماي، ويجب

أن تكون موجودة أثناء التفتيش".

قام جاك بالاتصال بديانا وبدا الغضب واضحًا على صوته: "يريدك كبير المفوضين أن تحضري تفتيش الشقة".

فقالت ديانا بهدوء: "متى؟"

- "في الحال"، ثم أغلق جاك خط الهاتف مباشرةً.

ذهبت ديانا إلى أسفل منزل باربرا وانتظرت هناك حتى جاء جاك وبصحبته اثنان آخران من المحققين. قامت ديانا بإلقاء التحية على جاك الذي تجاهلها تمامًا. وأثناء صعودهم إلى أعلى قالت ديانا لجاك: "أنت شخص أحمق. أظن أنه من حقي أن أسترجع مجوهراتي المفقودة".

قادتهم ديانا إلى غرفة النوم.. وهنا سألها: "في البداية يا آنسة ديانا.. هلا أخبرتِنا كيف عرفتِ مكان المجوهرات؟".

- "وصلتني بعض المعلومات"

- "حسنًا.. هل ستخبريننا عن المكان بالتحديد؟"

- "نعم.. هذا من دواعي سروري"

اتجهت ديانا إلى الفراش في الحال ورفعت الوسادة ثم أشارت إلى الصندوق النحاسي: "هنا".

فحمل جاك الصندوق ووضعه فوق الطاولة نفسها الموجودة تحت النافذة، ثم قام أحد المحققين بفتح الصندوق.. لكن الصندوق كان

فارغًا!

الفصل الرابع عشر

قامت ديانا بجذب الصندوق من بين يدي محقق الشرطة بسرعة بالغة وبحثت في كل جوانبه. كان الصندوق فارغًا تمامًا إلا من ورقة صغيرة. أقدم جاك على قراءة الورقة ثم مررها إلى ديانا التي أخذت في قراءتها بدورها، فوجدتها مكتوبًا عليها: "نأسف على تخييب ظنك".

وبعد لحظات من الصمت، انفجر جاك ضاحكًا ثم قال: "إذًا.. أين البروش يا آنسة ديانا؟"

قالت في غضب: "أقسم لك أنه كان هنا منذ ساعة واحدة.. رأيته بنفسي".

فقال جاك: "رأيتِه بنفسك.. هذا يعني أنكِ دخلتِ إلى الشقة بمفردك وبحثتِ فيها".

- "نعم فعلت ذلك.. لا داعي للنظر إليَّ هكذا يا جاك. أقول لك إن البروش كان هنا منذ ساعة واحدة، رأيتها جميعًا!"

فأجابها جاك في سخرية: "لكن لا يوجد شيء الآن، أتعلمين أنكِ إنسانة حقيرة! حاولتِ إقحام فتاة بريئة في مشكلة كبيرة".

فاستدارت ديانا واتجهت إلى خارج الغرفة دون أن تتفوه بكلمة واحدة .

قال جاك: "الآن عليَّ أن أشرح للآنسة باربرا لماذا جئتُ إلى شقتها في غيابها ومعي إذن للتفتيش".

وعلى الرغم من عدم العثور على البروش في شقة باربرا، فإن جاك يعلم جيدًا أن ديانا لن توجه

أية اتهامات ضد باربرا إلا إذا كانت متأكدة من وجود المجوهرات بالفعل.

بالإضافة إلى الورقة الصغيرة التي وضعت بداخل الصندوق، والتي تؤكد أن هناك شيئًا ما تم إخفاؤه من هذا الصندوق قبل التفتيش.

وحينما عادت باربرا إلى لندن، أقدم جاك على الاعتذار لها.

فقالت باربرا: "أعلم يا سيد دانتون وأتفهم جيدًا أنك لا شأن لك بالأمر"، ثم أضافت في سخرية: "أظن أن ديانا يجب أن تعمل في سكوتلاند يارد، فهي بارعة فيما يتعلق بالتحقيقات".

أضاف جاك: "هذا خطئي أيضًا.. لم يكن عليّ التسرع في إخبار كبير المفوضين".

قالت باربرا: "بالطبع لا، فهذا عملك ويجب عليك أن تؤديه"، ثم أضافت: "أعتقد أن ديانا المسكينة فوجئت من حقيقة أنني لست السارقة".

فسألها جاك: "أتعلمين أن كل المجوهرات المفقودة تمت إعادتها لأصحابها؟ حتى البروش الخاص بديانا؟"

- "حقًا؟"

لم تُبدِ باربرا الكثير من الاهتمام تجاه هذا الموضوع وواصلت حديثها عن ديانا: "تعرف.. لقد سامحت ديانا وتأكيدًا على ذلك سوف أذهب إلى الحفلة الخاصة بها.. هل ستذهب إلى هناك؟"

- "تلقيت دعوة من ديانا لكنني قررت تجاهلها"، ثم أردف "سأذهب هناك بالتأكيد إن ذهبتِ؟"

قالت في سخرية: "تمتلك ديانا بروشًا ألماسي آخر، وكما تعرف لدي شغف كبير تجاه البروشات الألماسية".

- "رجاءً لا تحدثيني بهذا الشأن حتى لو على سبيل المزاح، أشعر بعدم الارتياح تجاه الأمر كله".

تمتعت حفلات ديانا الراقصة بشهرة واسعة، وكانت تعج بعدد كبير من أفراد المجتمع. ذهب جاك إلى الحفل وأخذ يجول بنظره حتى رأى ديانا تقف في استقبال المدعوين، ومن ثم ألقت ديانا التحية على جاك: "سعيدة بمجيئك يا جاك.. هل سامحتني؟".

أراد جاك أن يتجنب الإجابة عن هذا السؤال، فهو لم يسامحها ولن يسامحها أبدًا، فقال لها: "لا يوجد ما أسامحك عليه".

ضحكت ديانا: "أرى أنك لم تسامحني بعد.. اذهب الآن وابحث عن باربرا، تبدو مذهلة اليوم".

كانت باربرا تقف وحيدة بعيدًا عن الأنظار في زاوية قاعة الرقص. وفور أن وقعت عيناها على جاك ذهبت إليه، وقالت له: "أريد أن أتحدث معك.. هيا، تعالَ معي إلى غرفة الاستقبال، إنها فارغة. أخبرتني ديانا أنه يمكنني البقاء فيها إذا أردت".

أغلقت باربرا باب الغرفة، وبدا القلق واضحًا على وجهها.

ثم قالت: "أريدك أن تساعدني في شيء مهم يا جاك".

قال جاك: "اطلبي ما تريدين يا باربرا".

- "أرغب في البقاء بمفردي في غرفة ديانا لمدة عشر دقائق".

فصمت جاك وأخذ يحدق فيها من هول المفاجأة حتى أضافت باربرا: "تسمح ديانا لكل الخدم أن يتجمعوا في ساحة الرقص ليشاهدوا الرقصات في الساعة الثانية عشر، وهذه هي فرصتي الوحيدة، لا يمكن أن أفوتها. كل ما أريده منك أن تقف عند الدرج وتراقب الوضع. إن رأيت أحدهم فقط أرسل لي الإشارة".

- "ماذا تقولين؟!"

قاطعته باربرا: "يمكنك إعطاء الإشارة عن طريق المصباح الكهربائي الموجود بجوار غرفة البلياردو، لن يذهب أحد إلى هذا المكان الليلة، وإذا رآك أحد فقط قل إنك شعرت بالملل وأردت

لعب البلياردو".

- "لكن يا باربرا، ماذا تريدين من غرفة ديانا؟!"

- "هل ستساعدني يا جاك؟ من فضلك افعل ذلك من أجلي.. أنت لا تفهم.. لا يوجد المزيد من الوقت".

فكر جاك لوهلة ثم أردف: "نعم.. سوف أساعدك، لا أعلم ما تقدمين على فعله لكنني أثق بكِ".

أمسكت باربرا بيديه ونظرت إليه نظرة حانية ثم قبلته وذهبت سريعًا.

الفصل الخامس عشر

لاحظت ديانا أن كلًا من جاك وباربرا قد اختفيا عن الأنظار، وافترضت أنهما صارا عاشقان يريدان الاختلاء ببعضهما البعض بعيدًا عن أعين الناس، ولكن في الحقيقة.. الأمر لم يكن كذلك.

وعند عودتهما إلى قاعة الرقص قامت ديانا بملاقتهما ثم قالت

"أراهن أنكما كنتما تنعتانني بأسوء الألفاظ الآن"

فقالت باربرا: "لم نذكراسمك البتة يا عزيزتي"

كانت باربرا تتحدث بكل ثقة، ولم يعد القلق ظاهرًا على وجهها كما كان من قبل، فتعجب جاك

من قدرتها على إخفاء ما بداخلها، ثم فكر لوهلة كيف أن النساء مخلوقات غريبة جدًا.

انتظر جاك حلول الساعة الثانية عشر بترقب ثم سرعان ما بدأ الخدم في الظهور واحد تلو الآخر على جانب قاعة الرقص؛ خادمات أنيقات وطهاة ومدبرة منزل.

دارت الحفلة الراقصة في الطابق السفلي، أما غرفة الاستقبال والمكتب وغرفة البلياردو كانت في الطابق الأول، وغرف النوم في الطابق الأخير. ألقى جاك نظرة على باربرا ثم انطلق إلى أسفل الدرج، وأخذ يتجول حول الدرج مطمئنًا أن أحدًا لم يلحظه، ثم أتت باربرا ورمقته بنظرة عابرة دون أن تتفوه بكلمة واحدة ثم ذهبت في اتجاه غرفة ديانا.

وقف جاك في المكان نفسه لمدة عشر دقائق

كاملة وعندما ظهر شخص أسفل الدرج، أسرع بإشعال المصباح الكهربائي ليرسل إشارته إلى باربرا.. حتى ظهرت ديانا أمامه فجأة!

قالت ديانا: " ماذا تفعل هنا؟"

ذعر جاك لرؤيته إياها لكنه حاول تمالك أعصابه ثم قال: "جئت لألعب البلياردو لكنني لم أجد من يلعب معي".

- "بلياردو الآن! هذا الوقت غير مناسب للبلياردو أيها الأحمق، لماذا لا ترقص؟ وأين ذهبت باربرا ؟".

- "أتوقع أنها تفكر بشكل أفضل مني.. إنها في قاعة الرقص".

- "إذًا.. هيا بنا سوف ألعب معك البلياردو"،

تبعها جاك ثم أغلق الباب وراءه.

فقالت له: "لا تغلق الباب يا جاك.. الجو حار هنا".

حرك جاك مقبض الباب ثم بدأ في فتحه ببطء، لكنها أصرت قائلة: "افتحه على مصراعيه يا جاك".

وهنا استجاب جاك لطلبها ثم أكملت حديثها: "لا أريد حقًا لعب البلياردو، وكذلك أظن أنك لا تريد اللعب. ماذا بك يا جاك تبدو كمن رأى شبحا".

ضحك جاك ثم قال: "هيا يا ديانا.. دعينا نلعب لعبة واحدة".

قالت ديانا: "لا لن ألعب، عليّ الذهاب إلى غرفتي لإحضار أقراص الأسبرين إلى السيدة

"مولي بنتون"، تشعر المسكينة بالصداع الشديد".

- "يمكنها أن تنتظر"

- "أنت أيضًا يمكنك أن تنتظر"

خفق قلب جاك بشدة أثناء صعود ديانا الدرج، لكنه وقف دون حراك حتى سمع صوت ديانا تناديه: "جاك! جاك!".

أجاب نداءها: "ماذا هناك؟"

- "تعال إلى هنا بسرعة"

أسرع يا جاك إلى غرفة النوم الجميلة، فيما كانت ديانا هناك بمفردها وتقول له: "انظر لقد اقتحم أحدهم غرفتي.. فقدت البروش الآخر

الخاص بي".

ذهل جاك حتى عجز لسانه عن التعبير، وأخذ يفكر أين تخفي باربرا نفسها الآن.

قالت ديانا والشك يملؤها: "هل رأيت أحدهم يصعد إلى هنا؟"

فأجابها: "لا على الإطلاق"

- "جاك! هل أتت باربرا إلى هنا؟"

- "لا لم تأتِ"

- "لماذا كنت تقف أسفل الدرج إذًا؟ أخبرني يا جاك، أنت لم تكن تلعب البلياردو، أين باربرا؟"

- "أخبرتكِ أنها في قاعة الرقص"

- "حسنًا.. سوف نرى"

ذهبا كلاهما إلى أسفل الدرج ووجهت ديانا سؤالها عن باربرا إلى الخادم.

فأجاب الخادم: "الآنسة باربرا ماي ذهبت إلى منزلها منذ خمس دقائق يا سيدتي.. رأيتها بنفسي"، فالتفتت ديانا إلى جاك: "هلا عثرت على باربرا ماي حتى تمنع وقوع تلك الفضائح؟!!".

قام جاك بالذهاب مباشرة إلى شقة باربرا وأخذ يطرق الباب فلم يتلق أي رد في البداية، لكنه لم يتوقف حتى فتحت له. وبدت غير مرحبة برؤيته على الإطلاق.

- "لا أستطيع أن أقابلك الآن يا جاك. من فضلك اذهب"

- "لكني أريد أن أسألك عن شيء ما"

قالت باربرا في حزن شديد: "هلا ذهبت من فضلك"

قال جاك: "لا لن أذهب حتى أعرف سر هذا اللغز"

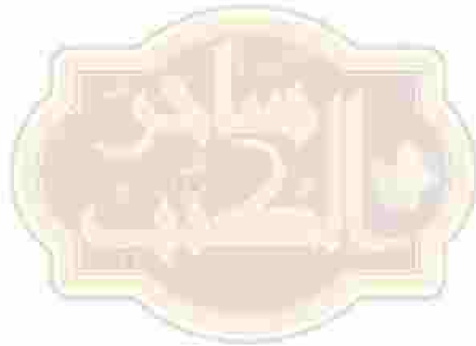
توسلت إليه باربرا: "رجاء اذهب الآن"

دفعها جاك جانبًا ثم سار في اتجاه غرفة الجلوس حيث دهش بشدة مما رآه أمامه.

إذ كان هناك في غرفة الجلوس يمكث ذلك الرجل الذي يعيش في منزل "بيرد إن بوش"، ومعه الرجل المدعو سميث بائع المجوهرات، بالإضافة إلى رجل هندي كبير السن وهزيل

ويرتدي عمامة بيضاء.

كان الرجل الهندي يحمل البروش المسروق بين يديه ويُقدم على انتزاع الجوهرة العظيمة التي تقع في منتصف البروش باحترافية بالغة.



الفصل السادس عشر

فوجئ الرجل الهندي عند ظهور جاك أمامهن والذي راح يسأل في دهشة: "ماذا يحدث هنا؟".

فصوب الرجل- الذي يسكن في منزل بيرد إند بوش- مسدسه في اتجاه جاك في لمح البصر آمرًا إياه: "قف مكانك ولا تتحرك"، فأطاع جاك أوامره. ثم وجه الرجل حديثه إلى سميث: "خذه يا سميث إلى الغرفة المجاورة، ورجاء يا سيد دانتون ابق هادئًا ولا تفتعل المشكلات".

ثم أعاد التفكير مرة أخرى وقال لسميث: "أو اتركه هنا فحسب، وكبل يديه بتلك القيود".

فامتثل سميث للأوامر في عجالة، بينما قال الرجل إلى جاك: "اجلس هنا في هدوء ولا تقدم

على فعل أي شيء متهور، وصدقني يا سيد دانتون يؤلمني أن أفعل ذلك بك كما يؤلمك وربما أكثر".

اختفت باربرا عن الأنظار حينها وأنصت جاك إلى صوتها تجهش بالبكاء في الردهة، لكن الثلاث رجال تابعوا حديثهم السري الخاص دون توقف، إذ سأل سميث: "هل انت متأكد؟".

فأجابه الرجل الهندي العجوز وهو يحمل الجوهرة الكبيرة بين يديه: "نعم بكل تأكيد".

ثم نظر الرجل الثالث إلى الساعة وتحدث مع سميث: "الساعة الآن الواحدة صباحًا.. أريدك أن تتواصل مع مدينة (كورديون). أخبرهم أننا نريد طائرة في تمام الساعة الرابعة ونصف تمامًا.. تعتقد متى سنصل؟".

- "بعد ثلاثة أو أربعة أيام على أقل تقدير".

- "أتمنى أن نصل في سلام دون أن تواجهنا أي أعطال في الطائرة. لم يبق أمامنا الكثير من الوقت".

ثم قال للرجل الهندي: "أظن أنه عليك أن تعيد هذا البروش كما كان في البداية".

قام سميث بإحضار حقيبة مسطحة طويلة تحتوي على الكثير من الجواهر اللامعة وقال له: "تفضل تلك الجوهرة.. هل يمكنك إصلاح البروش بها؟"، ثم ناوله الجوهرة التي التقطها الرجل الهندي بملقاط وقام بوضعها بإحكام في الجزء الفارغ في منتصف البروش مكان الجوهرة القديمة، التي سلمها لسميث الذي قام بدوره بتسليمها إلى الرجل الثالث.

قال الرجل: "أرسل هذه إلى الآنسة ديانا وأخبرها أننا تمكنا من القبض على اللص".

لاحظ الرجل أن جاك يشاهد ما يدور حوله في ذهول، فذهب

إليه ثم قال: "أعتذر لك على طريقتي معك أيها المحقق دانتون. أعتقد من المفترض أن تعرف الآن أنني مفوض من الشرطة الهندية".

فقال جاك في غضب: "أنت شيطان"

تابع الرجل: "وأود أن أخبرك أنني مررت هنا بوقت صعب للغاية".

ثم حرر جاك من قيوده وتابع حديثه: "عليَّ أن أذهب الآن، سأترك الآنسة باربرا لتخبرك بكل شيء". فقال جاك: "هل هذا يعني أن باربرا هي

السارقة؟".

- "بالطبع.. فهي من أذكى اللصوص في لندن ومن أجملهم أيضًا".

الفصل السابع عشر

أخذت باربرا تروي القصة كاملة على مسامع جاك: "لا أعرف كيف أبدأ القصة يا جاك، لكن الأمر كله يتعلق بجوهرة كالي".

كرر جاك كلامها في دهشة: "جوهرة كالي! تلك الجوهرة التي تحدث عنها اللورد ويديكومب، وقال إنها قد سرقت وواجهتهم الكثير من الصعوبات لإعادتها؟".

فأومأت باربرا برأسها تأكيدًا على ما يقول واستكملت: "كانت مسروقة مذ ذلك الوقت، ولم يعرف أحد بالأمر، وقد كان الأمر شاقًا علينا للتوصل إليها".

فكما تعلم أن هذه الجوهرة ليست ذات قيمة

مادية كبيرة، لكن أهميتها تكمن في أن النقش الدقيق المحفور في أحد جوانبها يعتقد السكان الأصليين أنه نقش مقدس؛ لذا فإن أهميتها المعنوية أكبر بكثير مما تعتقد، وقد استطاع لص هندي أن يسرق الحجر منذ ما يقرب من ستة أشهر، ولم يتم اكتشاف السرقة إلا بعد وقت كبير بواسطة الكاهن الأكبر، الذي تواصل مع الشرطة وأخبرهم بكم المشكلات التي ستقع إن لم يظهر الحجر، ويتم فحصه من قبل كبار رجال الدولة في اليوم الخاص ب"عرض الحجر". وفيما بعد فقد تم القبض على السارق لكن للأسف كان قد باع الحجر ومعه كثير من الأحجار المسروقة الآخرى إلى التجار في أوروبا.

تتبعنا المشتري حتى وصلنا إلى لندن. ومن هنا جاء دوري لأنني أعمل في الخدمات السرية في وزارة الخارجية منذ ثلاث سنوات".

قال جاك في دهشة: "الخدمات السرية! إذًا أنتِ..."

قاطعته باربرا: "نعم أنا أعمل محققة في الخدمات السرية"

ثم أضافت: "كل الجواهر المسروقة تم بيعها إلى شركة واحدة؛ شركة ستريتلاي، وعندما قمنا بمواجهته أكد عدم معرفته أن واحدة من تلك المجوهرات هي جوهرة كالي الشهيرة؛ لذلك جاء المحقق الهندي، ذلك الرجل الشجاع برفقته السيد سينج.

والسيد سينج واحد من أعضاء المجلس الذين يحتفظون بجوهرة كالى، علاوة على كونه بائع مجوهرات متمكن، يستطيع بسهولة التعرف على جوهرة كالي. تلك الجوهرة تشبه إلى حد كبير

جميع الجواهر الأخرى، وتحتاج إلى شخص خبير ليكتشف الفرق".

قال جاك: "تقصدين الرجل الذي يعيش في شارع بيرد إن بوش، لكن لماذا تمت سرقة كل البروشات؟".

ابتسمت الفتاة: "لم نسرقها كلها. استخدم ستاريتلاي كل الأحجار الكريمة التي حصل عليها في الكثير من البروشات، كانت رائعة وجذابة وتم بيعها كلها. وقد حاول التواصل مع الناس طلبًا في استعادة المجوهرات المباعة لإجراء بعض التعديلات. وافق غالبية المشترين على إعادتها إليه، لكن بعضهم رفض إرسال المجوهرات ظنًا منهم أن البروش ذو قيمة عالية لذلك يريد ستريتلاي استعادته. ومن هنا اضطررت على القيام بذلك الفعل البغيض.. سرقة البروشات".

- "إذًا أنتِ تعملين مع الشرطة كل هذا الوقت؟"

- "نعم.. ولم يكن لدينا الكثير من الوقت. كان علينا أنا وسميث، وهو محقق شرطة أيضًا بالمناسبة، أن نحصل على جوهرة كالي في أقل من عشرة أيام ثم إعادتها إلى الهند بالطائرة كما سمعت، وقد استدعى الأمر فحص كل المجوهرات المباعة للتعرف على جوهرة كالي، وكان البروش الأخير الخاص بديانا الوحيد الذي لم يتم فحصه".

- "هذا يعني أن ديانا كانت محقة. فقد وجدت البروشات الألماسية في الصندوق أسفل وسادتك".

- "نعم.. وكان كبير المفوضين يعلم بالأمر كله من البداية؛ لذا قام بمهاتفة سميث فور معرفته باكتشاف ديانا. من ثم ذهب سميث مباشرة إلى

الشقة. حمل كل المجوهرات وترك تلك الملحوظة داخل الصندوق".

وهنا أردف جاك: "كان كبير المفوضين يعلم بالأمر! لا عجب أنه لم يريدني أن أتدخل! أشعر بالأسف من أجل ديانا، لقد جرحتها بكلامي كثيرًا. فعلى الرغم من كل شيء، لقد كانت محقة في شكوكها".

الفصل الثامن عشر

في اليوم التالي بعد الظهيرة، ذهبت باربرا إلى منزل ديانا التي قالت لها فور رؤيتها: "لقد حصلت على البروش الخاص بي، أعتقد أن الشرطة استطاعت العثور عليه.. أتعرفين شيئًا؟ إن جاك محقق شرطة ممتاز، وعرف تمامًا بمكان البروش".

سألتها باربرا: "وأين كان البروش؟"

أجابت ديانا بلطف: "في شقتك يا عزيزتي.. أظن أن جاك لن يخفي الأمر هذه المرة. وبهذه المناسبة لقد كتبت خطابًا إلى كل معارفنا لأخبرهم بالحقيقة الكاملة وراء قصة السرقة".

فقالت باربرا بهدوء: "حقيقة أنني السارقة؟"

فأجابتها: "إنك السارقة، إنه لوصف قبيح، لكنه لا يكفي لوصف حقيقتك".

تنهدت باربرا ثم قالت: "حسنًا، وبهذا نكون قد توصلنا إلى لغز اللص. أنا سعيدة إن كل شيء انتهى وأننا بتنا نعرف جميعًا من السارق. لكن يبقى اللغز الآخر؛ رقم 2..".

سألت ديانا: "أي لغز؟"

- "اللغز الثاني.. لغز المدعو "فاعل خير" مرسل الخطابات؟ هل تذكرين عندما وضعت المخدر لك في كوب الشيكولاتة، نعم.. لقد فعلت ذلك. كان مخدرًا لطيفًا لا يسبب الأذى بالمرة. في ذلك الوقت وجدت البروش الخاص بك، ووجدت أيضًا مجموعة من الخطابات الموقعة باسم "فاعل خير" جاهزة للإرسال..".

وبعد عدة دقائق من الصمت قالت ديانا: "أكملي حديثك"

فتابعت باربرا حديثها: "تلك الخطابات التي كتبت للكثير من الناس الذين يظنون أنك صديقتهم المقربة بينما تحمل الكثير من الاتهامات الوحشية والفضائح البشعة".

فلاحقتها ديانا في ذعر: "هذا كذب".

- "لا.. إنها الحقيقة"

- "أثبتِي ذلك"

- "هل تعلمين أنني محققة في الخدمات السرية إذا؟"

- "محققة في الخدمات السرية! بالطبع لا، أنتِ كاذبة"

- "صدقيني، إنها الحقيقة، فقد كنت أبحث عن جوهرة أرادتها الحكومة بشدة، لذلك سرقت البروش الخاص بك وكل البروشات الأخرى. لكن تملكني شعور أنكِ أنتِ كاتبة الخطابات؛ لذلك عندما ذهبت إلى منزل آل ويديكومب قررت البحث عن البروش والخطابات أيضًا، التي وجدتها بسهولة في غرفتك وأخذتها معي هي الأخرى".

- "أنت كاذبة.. كل شيء كان في مكانه باستثناء البروش المفقود".

ابتسمت باربرا: "أنت محقة.. لقد أعدتهم إلى غرفتك مرة أخرى بعد أن أخذت نسخًا منها ببعض المعدات الخاصة بي. استغرقت الليلة كلها

حتى انتهيت من أخذ هذه الصور، أردت فقط أن أُعلِمك أنك إذا أخبرتِ أحدًا أنني السارقة سوف أرسل تلك الخطابات الخاصة بفاعل خير إلى كل أصدقائنا، وسوف أخبر الجميع أنكِ أنتِ ذلك الشخص!".

صمتت ديانا مرة أخرى ثم قالت: "لم أكتب عنك لأقاربنا بعد، لقد رغبت في فعل ذلك فحسب".

فأجابتها باربرا وهي تغادر الغرفة: "إذًا من الأفضل لك ألا تفعلي.. أظن أنه عليك أن تجدي شيئًا تشغلين به وقتك، لماذا لا تتزوجين؟ أقول لك ذلك الآن بصفتي امرأة راشدة متزوجة".

دهشت ديانا لما سمعت فبادرت بسؤالها: "ماذا؟! متزوجة؟"

- "نسيت أن أخبرك، لقد تزوجت هذا الصباح من

جاك في مكتب السجلات والأحوال المدنية، وسأتغاضى عن هديتك لزفافنا".

تمت